بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم أصول الدين

ماجستير التربية في الإسلام

٢٥٢٠١٢

التوبة وآثارها التربوية

إعداد الطالب:

يوسف حسين نزال العيسى

إشراف

أ.د. أبو اليقظان الجبوري

د. شفيق فلاح علاونه

السنة الدراسية ١٩٩٨/١٩٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الَّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رَّحمة اللهِ إِن اللهَ يغفرُ الذُّنوبَ جميعاً إِنَّهُ هو الغفورُ الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبلِ أن يأتيكم العذابُ ثمَّ لا تنصرون﴾.

سورة الزمر: آية ٥٣-٥٤

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيّد الاستغفارِ أن تقولَ: اللهم أنت ربّي، لا إله إلاّ أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدكَ ما استطعت، أعوذ بكَ منْ شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي، اغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذُّنوب إلاَّ أنت. قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)).

رواه البخاري.

جـامـعـة اليـــرمـــوك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قســـم أصـــول الـــدين
ماجستير التربية في الإسلام

التوبة وآثارها التربوية

إعداد الطالب
يوسف حسين نزال العيسى

ليسانس شريعة كلية الدعوة وأصول الدين، المدينة المنـــورة، الجامعـــة الإســـلامية، ١٩٨٢.
دبلوم أساليب تدريس التربية الإسلامية ، جامعة اليرموك، ١٩٩٥.

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في كلية الشريعة والدراســـات الإسلامية، جامعة اليرموك، تخصص التربية في الإسلام.

لجنة المناقشة:

١- أ. د. ابو اليقظان الجبوري..... المشرف الشرعي (رئيساً)
٢- د. شفيق فلاح علاونه..... المشرف التربوي (عضواً)
٣- د. محمد الملكاوي.....عضواً
٤- أ. د. محمد الغزاوي.....عضواً.

الإهـــداء

- إلى من ربياني صغيراً، إلى والديّ الكرام

- إلى رفيقة الدرب، زوجتي الفاضلة، ام ليث.

- إلى فلذات كبدي ، ليث وغيث وساجدة ومحمد وحمزة وحذيفة.

- إلى من حاد عن طريق الرحمن ووقع في مكائد الشيطان.

بعد أن مَنّ الله عليّ بإتمام هذه الدراسة، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان والدعاء بالخير الجزيل للدكتورين الفاضلين أبي اليقظان الجبوري المشرف الشرعي، والدكتور شفيق علاونه المشرف التربوي، صاحبي الخلق الرفيع، والعلم الوفير، على ما قدماه من جهد ورعاية ومتابعة هذه الدراسة، مما ترك أطيب الأثر على نفسي وعلى هذه الدراسة، فلهما من الله عظيم الأجر، وجزيل الثواب، ولهما مني كل الاحترام والتقدير.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتور محمد الملكاوي والدكتور محمد الغزاوي لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الدراسة.

ولا يفوتني أن اشكر الأخ الزميل عبد الله السلامات على مراجعة هذه الدراسة وتصحيح ما اعتراها من أخطاء لغوية.

والاخوة القائمين على كلية الشريعة، فجزى الله الجميع خيراً.

الباحث .

قائمة المحتويات

الموضوع — الصفحة

- الإهداء ..... هـ
- لجنة المناقشة ..... د
- الشكر والتقدير ..... و
- الملخص ١
- **الفصل التمهيدي** ٣
- المقدمة ٣
- أهمية الدراسة ٤
- محددات الدراسة ٤
- التعريفات الاجرائية ٥
- أسئلة الدراسة ٥
- الدراسات السابقة ٦
- منهج الدراسة ٧
- خطة الدراسة ٧

الفصل الأول: مفهوم التوبة

المقدمة ٩

المبحث الأول: معنى التوبة لغة واصطلاحا ١١

المطلب الأول: معنى التوبة في اللغة ١١

المطلب الثاني: معنى التوبة في الاصطلاح ١١

المطلب الثالث: مشروعية التوبة في الكتاب والسنة ١٢

المبحث الثاني: الفرق بين التوبة والاستغفار، والإنابة والأوبة، والعفو

المطلب الأول: الفرق بين التوبة والاستغفار ١٤

المطلب الثاني: الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة ١٦

المطلب الثالث: الفرق بين التوبة والعفو ١٧

المبحث الثالث: توبة الأنبياء، وحكم التوبة

المطلب الأول: توبة الأنبياء ١٩

المطلب الثاني: وجوب التوبة ٢٢
المطلب الثالث: فورية التوبة ٢٣
المبحث الرابع: أركان التوبة وأنواعها
المطلب الأول: أركان التوبة ٢٥
المطلب الثاني: التوبة من الذنوب التي اقترفت في حقوق الله. ٢٧
المطلب الثالث: التوبة من الذنوب التي اقترفت في حقوق العباد. ٢٩

الفصل الثاني: نماذج من التائبين
المقدمة ٣١
المبحث الأول: نماذج من التائبين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ٣٤
المطلب الأول: توبة أبي لبابه ٣٤
١-اسمه ونسبه ٣٤
٢- ذنبه ٣٤
٣-توبته ٣٥
٤-الآثار التربوية المستفادة من توبة أبو لبابة ٣٦
المطلب الثاني: توبة حاطب بن أبي بلتعه ٣٨
١- اسمه ونسبه ٣٨
٢-ذنبه ٣٨
٣- توبته ٤٠
٤- الآثار التربوية المستفادة من توبة حاطب ٤٠
المطلب الثالث: توبة كعب بن مالك ٤٢
١- اسمه ونسبه ٤٢
٢- ذنبه وتوبته ٤٢
٣- الآثار التربوية المستفادة من توبة كعب ٤٥
المبحث الثاني: نماذج من التائبين ورد ذكرهم في السنة النبوية الشريفة
المطلب الأول: توبة أبي سفيان صخر بن حرب ٤٧
١- اسمه ونسبه ٤٧
٢- ذنوبه وتوبته ٤٧
٣- الآثار التربوية المستفادة من توبة أبي سفيان ٤٨

المطلب الثاني: توبة عكرمة بن أبي جهل ٥٠
١- اسمه ونسبه..... ٥٠
٢- ذنبه توبته ٥١
٣- الآثار التربوية المستفادة من توبة عكرمة ٥٢
المبحث الثالث: نماذج من التائبين من السلف الصالح
المطلب الأول: توبة إبراهيم بن أدهم..... ٥٥
١- اسمه ونسبه..... ٥٥
٢- ذنبه وتوبته..... ٥٥
٣- أقواله التي تتعلق بالتوبة..... ٥٧
٤- الآثار التربوية المستفادة من توبة إبراهيم بن أدهم..... ٥٨
المطلب الثاني: توبة الفضيل بن عياض..... ٥٩
١- اسمه ونسبه..... ٥٩
٢- ذنبه وتوبته..... ٥٩
٣- الآثار التربوية المستفادة من توبة الفضيل بن عياض..... ٦٠
المطلب الثالث: توبة بشر بن الحارث الحافي..... ٦٠
١- اسمه ونسبه..... ٦٠
٢- ذنبه وتوبته..... ٦٠
٣- الآثار التربوية المستفادة من توبة بشر الحافي ٦٢

الفصل الثالث: الآثار التربوية
المقدمة..... ٦٤
المبحث الأول : الآثار النفسية للتوبة..... ٦٥
المطلب الأول: أثر التوبة في تزكية النفس ٦٦
١- التوبة سبب في تذلل العبد لربه وتحقيق صدق العبودية له. ٦٦
٢- تطهير النفس وانشراح الصدر. ٦٧
٣- عزة مقام التائب..... ٦٧
٤- التوبة تفتح أمام الإنسان باب الأمل في ألا يعاقبه الله على ذنوبه
أو بعضها، مما يدفعه للعمل والعبادة ٦٩
المطلب الثاني: أثر التوبة في علاج بعض أمراض النفس ٧٠

١- التوبة تزيل الشعور بالنقص والاضطراب النفسي..... ٧١
٢- التوبة تنقذ الإنسان من آلام الضمير..... ٧١
٣- التوبة سبب في التطهير الانفعالي..... ٧٢
٤- التوبة سبب لعلاج الكبر والإعجاب بالنفس وتورث التواضع والانكسار ٧٣
المبحث الثاني : الآثار السلوكية..... ٧٤
المطلب الأول: اثر التوبة في تعديل السلوك وممارسة الأعمال الحسنة..... ٧٤
١- التوبة تدعو إلى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. ٧٤
٢- التوبة من أهم الدعائم الخلقية..... ٧٥
٢- التوبة تعني التقليل أو التخلي ذاتيا عن النشاط الإجرامي
مع إصلاح الضرر ما أمكن والعودة إلى التكيف الاجتماعي. ٧٦
٣- اشتمال آيات التوبة على أسلوب تعليمي تربوي ٧٧
٤- في آيات التوبة تعليم لأدب مهم من آداب الدعاء ٧٧
المطلب الثاني: أثر التوبة في ترقية الإنسان من حال إلى حال. ٧٨
١- التوبة سبب في تعديل السيئات حسنات..... ٧٨
٢- النظر للمستقبل وتجديد الإيمان حتى لا يتساوى يوماه..... ٧٩
٣- الشعور بالاصطفاء وإعادة الثقة للنفس..... ٧٩
المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية للتوبة..... ٨٠
المطلب الأول: أهمية التوبة في محاصرة الجرائم والتقليل من خطرها..... ٨٠
١- الحرابة..... ٨١
٢- البغي..... ٨٢
٣- الردة..... ٨٤
المطلب الثاني: أثر التوبة على سلوكيات المجتمع واقتصاده..... ٨٥
١-التوبة تدفع المذنب إلى ترك الذنب والقيام بمزيد
من الأعمال الحسنة..... ٨٥
٢- التوبة تدفع المسيء إلى أن يحسن للذي أساء إليه..... ٨٥
٣-التوبة سبب في إغداق البركات والرزق ورغد العيش
على التائب ومجتمعه..... ٨٦

- الخاتمة

- النتائج والتوصيات ٨٨
- فهرست الآيات الكريمة ٨٩
- فهرست الأحاديث النبوية الشريفة ٩٢
- قائمة المصادر والمراجع ٩٥
- قائمة المجلات ١٠٣
- الملخص باللغة الانجليزية ١٠٤

التوبة وآثارها التربوية

إعداد:

يوسف حسين نزال العيسى

إشراف :

أ.د. أبو اليقظان الجبوري

د. شفيق فلاح علاونه

الملخص:

تعد التوبة من أهم الأحكام الشرعية التي يجب أن يحيط بها المسلم، إذ لايستطيع أي مسلم مكلف الاستغناء عنها بأية حال من الأحوال؛ لأن الإنسان بطبعه مهيأ لارتكاب المعاصي والآثام وهو بحاجة ماسة إلى تكفيرها وإلاّ هلك وخسر الآخرة، وهذا هو الخسران المبين، ولهذا أجابت الرسالة عن الأسئلة التالية:

١-ما معنى التوبة؟ وما حكمها؟

توصلت الدراسة إلى:-

أ – بيان معنى التوبة وهي:-

ترك الذنب لقبحه والندم على فعله والعزم على عدم العود، ورد المظلمة إن كانت ، أو طلب التحلل من صاحبها.

ب- إظهار حكمها الشرعي وهي واجبة وعلى الفور والمقصود بالفورية هي : المبادرة بالتوبة بلا تأخير ولا تسويف لأن الانسان لايملك غده ولا ما بعده.

٢-ما أركان التوبة وأنواعها؟

عرض الباحث أركان التوبة حيث يتوقف قبولها على وجود الأركان وهي: الندم والإقلاع عن الذنب، والعزم على عدم العود إلى الذنب، هذا إن كانت التوبة من الذنوب التي اقترفت في حقوق الله، وأمّا إنْ كانت في حقوق العباد فيجب وجود شرط رابع وهو رد الحقوق إلى أصحابها أو استحلالهم منها. ومن خلال عرض الأركان تظهر أنواع التوبة، وهي توبة من حقوق الله وتوبة من حقوق العباد.

٣-ما الفرق بين التوبة والاستغفار، والانابة والاوبة، والعفو؟ توصلت الدراسة الى أنّ الاستغفار المفرد هو توبة وكذلك التوبة المفرده هي استغفار، اما اذا اقترنتا - التوبة والاستغفار - فتكون التوبة طلب وقاية شر ما يخافه من الذنوب في المستقبل، والاستغفار طلب المغفرة من الذنوب الماضية.

أما المقصود بالإنابة والأوبة فقد اتفق العلماء على تعريفهما بأنهما: الرجوع إلى الله، وخلاصة القول: إن الرجوع إلى الله له ثلاثة أحوال أولها التوبة، وثانيها الإنابة، وثالثها الأوبة.

٤-ما موقف المسلم من نماذج التائبين الذين ذكروا في القرآن والذين ذكروا في السنة المطهره والتائبين من السلف الصالح؟ توصلت الدراسة إلى استحباب الاقتداء بهم والسير على نهجهم، لاسيما أنّ السبل التي سلكوها في الرجوع -للصنفين الأولين من التائبين- كانت مقبولةً عند الله تعالى.

٥-ما الآثار التربوية التي انعكست على التائبين؟

توصلت الدراسة إلى بيان الآثار التربوية التي انعكست على التائبين من خلال تصرفاتهم بعد التوبة، وكانت آثاراً إيمانية وجهادية، وصدقات في سبيل الله والتزام بالصدق، وغيرها.

٦- ما الآثار التربوية للتوبة؟ توصلت الدراسة إلى إبراز هذه الآثار وجاءت على ثلاثة أقسام: الآثار النفسية، والآثار السلوكية، والآثار الاجتماعية، وبعد إبراز الآثار بينت أهميتها على الفرد والمجتمع، فهي تسهم في تحقيق العبودية لله، وعلاج بعض أمراض النفس نحو التخلص من آلام الضمير ومن الكِبْر والإعجاب بالنفس، والسمو بمنزلة الإنسان، أما أهميتها للمجتمع فهي تعمل على محاصرة الجرائم والتقليل من خطرها، وتسهم في تحسين مستوى اقتصاد المجتمع الإسلامي.

الفصل التمهيدي

١- المقدمة
٢- أهمية الدراسة
٣- أسئلة الدراسة
٤- محددات الدراسة
٥- التعريفات الاجرائية
٦- الدراسات السابقة
٧- منهج الدراسة
٨- خطة الدراسة

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

فإنّ الله عزوجل خلق الإنسان في أحسن تقويم، حنيفاً مستقيم الفطرة، متجهاً إلى الطاعة، وشاء سبحانه أن يكون مزدوج الخلقة، تلتقي في كينونته دوافع الخير، ونوازع الشر، وهداه النجدين: إما شاكراً وإما كفوراً، فأبى أكثر الناس إلا كفوراً.

ولما كان الإنسان لا ينفك عن ارتكاب المعاصي والآثام، والاعتداء على الآخرين، شرع الله تعالى العقوبة زجراً وتأديباً وتطهيراً، ولم يشأ سبحانه وتعالى أن يجعل العقوبة السبيل الوحيد لتطهير الجناة، بل فتح لهم باب التوبة النصوح، وأمر عباده جميعاً الدخول فيه بقوله تعالى: ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1].

وهكذا فإن توبة الفرد لها تأثير بالغ في سلوكه واتجاهاته وتنمي علاقاته الطيبة مع الآخرين، فيتحول بفضل الله من الذنب إلى الطاعة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الظلم إلى العدل، ومن الهدم إلى الإصلاح، وهي ضمان للمذنب بأنه قادر على أن يبدأ حياته من جديد مهما زلت قدماه ووقع في الخطأ.

---

[1] - سورة النور: آية ٣١.

والمتتبع لآثار التوبة على صعيد المجتمع يجد أنها تشكل في مجموعها سداً منيعاً أمـام انتشار أي جريمة أو فساد، فتارة يعرض الإسلام التوبة على المحاربين والمفسدين في الأرض – قطاع الطرق– وتارةً على المرتدين، وأخرى على أصحاب كبـائر الذنـوب وصغائرهـا، ونتيجة ذلك فإن للتوبة أهمية عظيمة في تطهير المجتمع من خلال محاصرة الجرائم والتقليـل من خطرها.

ومن باب حرص الشريعة الإسلامية على مصلحة الفرد والمجتمع، فقد أكدت الآيـات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على وجوب التوبة وفوريتها وبينـت أركانـها وأنواعـها وآثارها، وبهذا تظهر أهمية التوبة ومدى الحاجة إليها.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة في إظهار الآثار التربوية للتوبة التي تعـود علـى الفـرد والمجتمع بالفوائد الكثيرة، ويتوقع لهذه الدراسة أن تقدم إسهامات في عدة مجالات منها:

١–تقديم محتوى متكامل للتوبة للوعاظ وأئمة المساجد.

٢–تضيف هذه الدراسة منهجاً مفيداً ومرتبطاً بكتاب الله وسنة نبيه صلـى الله عليـه وسـلم، فتوصل ارتباط الأمة بهذين المصدرين، والرجوع إليهما في حياة المسلم.

٣–زيادة الاهتمام والإقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، والسلف الصالح فـي مجـال التوبة.

٤–العلم بوجوب التوبة وفوريتها وأهميتها، وهذا يزيد إقبال المسلمين عليها.

محددات الدراسة:

١–التركيز على الآثار التربوية مع الاختصار لبعض الآثار الأخرى.

٢–عدم الخوض في الآراء والخلافات الفقهية، وذكر بعض المسائل الفقهية التـي احتـاجت إليها الدراسة.

٣–اقتصرت الدراسة على ذكر نماذج من التائبين ذكرهم القران الكريم ونماذج ذكرتهم السـنة النبوية المطهرة ونماذج من السلف الصالح، علماً بإن النماذج من التائبين كثر، ولكـن رأى الباحث أن تأثر هؤلاء بالتوبة اكثر من غيرهم.

٤–الاعتماد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ومواقف وتصرفات التائبين بعد التوبة فـي استخلاص الآثار التربوية.

التعريفات الإجرائية:

مفهوم التوبة: ترك الذنب لقبحه والندم على فعله والعزم على عدم العود، ورد المظلمة إن كانت، أو طلب التحلل من صاحبها.

الاستغفار: طلب المغفرة من الذنوب الماضية باللسان.

الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى، حياء من نظر الله.

الأوبة: الرجوع إلى الله تعالى، تعظيماً لجلال الله.

العفو: هو أن يستحق الإنسان حقاً فيسقطه ويبرى عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم وكظم الغيظ.

تزكية النفس: الظهر من الادناس، والسمو عن النقائض، ووضع النفس حيث يطيب موضعها، ويرتفع قدرها.

أسئلة الدراسة:

هدفت الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما معنى التوبة؟ وما حكمها؟

٢- ما أركان وأنواع التوبة؟

٣- ما الفرق بين التوبة و الاستغفار والإنابة والأوبة والعفو؟

٤- ما موقف المسلم من التائبين الذين ذكرهم القرآن الكريم والذين ذكرتهم السنة النبوية والتائبين من السلف الصالح؟

٥- ما الآثار التربوية التي تنعكس على التائبين؟

٦- ما الآثار التربوية للتوبة؟

الدراسات السابقة:

- إن الدراسات التي تناولت موضوع التوبة كثيرة جداً وهي تقليدية إلا قليلاً منها، فغالباً ما تذكر تعريف التوبة وأركانها وأنواعها وحكمها، وتسرد حياة التائبين دون التركيز على الآثار التي تنعكس على التائب. ومن هذه الدراسات :

١- التوبة والاستغفار: تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.
عرض المؤلف فيه تعريف التوبة والاستغفار، وتكلم عن توبة الأنبياء، وبين أهمية التوبة في رفع درجات التائب وحب الله له، وتكلم عن التوبة من بعض الذنوب دون الأخرى، وعدد صفحات الكتاب ١٢٢.

٢- حادي الروح إلى أحكام التوبة النصوح: تأليف سليم بن عيد الهلالي الضبعة.
قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة عشر فصلاً ، أهمها تعريف التوبة النصوح، ووجوب التوبة على الفور، وحال العبد بعد التوبة، وتوبة من ارتكب حداً من حدود الله. وعدد صفحات الكتاب ٢٩٣.

٣- كتاب التوبة من إحياء علوم الدين، تأليف الامام الغزالي، تقديم د. رضوان السيد.
قسم المقدم الكتاب إلى ثلاثة أركان وهي: الركن الأول حقيقة التوبة، ووجوبها على الفور، الركن الثاني الذنوب وصغائرها وكبائرها، الركن الثالث بيان تمام التوبة وشرطها.

٤- كتاب التوابين: تأليف الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.
ذكر فيه المؤلف التائبين من الملائكة والأنبياء وملوك الأمم الماضية، وأخبار التائبين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالح، وعدد صفحات الكتاب ٣١١.

٥-التوبة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية: تأليف الدكتور جودة حسين جهاد.
قسم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة فصول اشتملت على مدلول التوبة، ونطاق التوبة، وآثار التوبة، وعدد صفحات الكتاب ١٧٩.

٦- التوبة إلى الله : تأليف د. صالح ابن غانم السدلان.
اشتمل هذا الكتيّب على تعريف التوبة وحقيقتها، وفضلها وشروطها كما تحدّث الكتيّب عن الذنوب والمعاصي التي تجب التوبة منها، والوسائل المعينة عليها، وعلامات صدق التوبة، وعدد صفحاته ٦٦.

- لم يقف الباحث على دراسة تربوية متخصصة تضمنت الآثار التربويـــة للتوبـــة بصـــورة شمولية.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهجية التالية:

١-المنهج التاريخي: وذلك في ضبط المواقف للتائبين ، وقد اعتمد الباحث الروايات التاريخيـة في كتاب السير للإمام الذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير، والإصابة في تميز الصحابة لابـــن حجر العسقلاني، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، واعتمـــد الروايـات فـــي صحيح الإمام البخاري والجامع الصحيح للإمام مسلم.

٢-المنهج الوصفي التحليلي:

اتبع الباحث الطريقة التحليلية الاستنباطية، في الكشف عن الآثار التربوية للتوبة التـــي انعكست على التائبين . معتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكتب الـــتراجم والسير.

٣-اعتماد الأحاديث النبوية في موضوعات الدراسة في صحيح الإمـــام البخـــاري، والجـــامع الصحيح للإمام مسلم وكتب السنن.

٤-الترجمة لأعلام التائبين في متن البحث.

خطة الدراسة

اشتملت الدراسة على فصل تمهيدي احتوى على: مقدمة، وأسئلة للدراســـة، وأهميـــة الدراسة والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة وخطتها.

كما شملت الدراسة على ثلاثة فصول رئيسة، وخاتمة.

الفصل الأول

مفهوم التوبة

المقدمة:

خلق الله عز وجل الإنسان بحكمته غير معصوم، بل تتنازعه عوامل الخير والشر، وتتناوبه دوافع التقوى، وتتقاذفه زوابع الشهوات، وتؤثر فيه رقابة الله تعالى مرة، وتسيطر عليه الغفلة مرة أخرى، فيقبل عليه تارة، ويدبر عنه تارة أخرى. فهو متجاذب قلبه بين جند الرحمن وجند الشيطان[1]. فالإنسان في الحياة لا يكون معصوماً من الذنوب؛ لأن العصمة من الخطايا والتجرد لمحض الخير والطاعة شأن الملائكة المقربين، والتجرد للشر سجية الشياطين، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين[2]. أما الإنسان فإنه بما ركب فيه من قوتي الشهوة والغضب فإنه على استعداد للتفكير في ارتكاب الذنوب والوقوع فيها، وكثيراً ما تقف إرادته عاجزةً عن مكافحة عوامل الغضب والشهوة، فتطغى عليه وتخرجه عن الحدود التي رسمها الله سبحانه وتعالى وبذلك تأتي المخالفة ويقع في المعصية[3]. هكذا خلق الله تعالى الإنسان ووضع فيه نوازع الخير والشر، ففعل الخير والشر منه متوقع، إلا أن ميول الإنسان إلى الخير أكثر، حيث إن الله تعالى خلق الخير وبين فوائده و أمر به، وخلق الشر وبين مضاره ونهى وحذر منه، والإنسان مأمور بأن يتلقى أوامر الله تعالى بالجزم والتصديق ، ثم إن الله تعالى بفضله وكرمه أوجب عليه التوبة، لتتناسب مع طبيعته وتغطي زلته وتقيل عثرته.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث سيقوم بذكر مفصل في هذا الفصل عن معنى التوبة ومشروعيتها في الكتاب والسنة، والفرق بين التوبة والاستغفار، والإنابة، والأوبة والعفو، وحكم التوبة، وأنواعها وأركانها، ولذلك قسمتُ هذا الفصل إلى اربعة مباحث كما قسمتُ المبحث الواحد إلى ثلاثة مطالب جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: معنى التوبة، لغةً واصطلاحاً ، ومشروعيتها.

١-المطلب الأول: تعريف التوبة لغةً.

٢-المطلب الثاني: تعريف التوبة اصطلاحاً.

٣- المطلب الثالث: مشروعية التوبة في الكتاب والسنة.

---

[1] - البيانوني، احمد عز الدين: التوبه، ص ٥.

[2] - الغزالي، تقديم رضوان السيد: احياء علوم الدين، ص ١٢.

[3] - وهبة ، توفيق علي: مجلة الرسالة الاسلامية، التوبه والاختبار القضائي في الشريعة الاسلامية ص١٧.

المبحث الثاني: الفرق بين التوبة والاستغفار، والإنابة والأوبة والعفو.

١-المطلب الأول: الفرق بين التوبة والاستغفار.

٢-المطلب الثاني: الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة.

٣-المطلب الثالث: الفرق بين التوبة والعفو.

المبحث الثالث: حكم التوبة

١-المطلب الأول: توبة الأنبياء.

٢-المطلب الثاني: وجوب التوبة.

٣-المطلب الثالث : فورية التوبة.

المبحث الرابع: أركان التوبة وأنواعها

المطلب الأول: أركان التوبة

المطلب الثاني: التوبة من الذنوب التي اقترفت في حقوق الله.

المطلب الثالث: التوبة من الذنوب التي اقترفت في حقوق العباد.

وفيما يلي التفصيل:

المبحث الأول

معنى التوبة لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول

التوبة لغةً: ((مأخوذة من الفعلِ الثلاثي تاب: تَوْباً، وتَوْبَةً، ومتَاباً؛ رجَع عنِ المعصيةِ، فهو تائبٌ وتوابٌ، وتَابَ الله على عبده: وفّقه للتَوبةِ. فاللهُ توّابٌ. والعبدُ تائبٌ)) [1].

وجاءَ في لسانِ العربِ إنّ التوبةَ هي:

((الرجوعُ منَ الذنبِ، وقال الأخفش:

التوبُ جمعُ توبةٍ مثل عزمةٍ وعزمٍ.

وتابَ إلى الله يتوبُ توباً وتوبةً ومتاباً: أنابَ ورجعَ عن المعصيةِ إلى الطاعةِ)) [2].

والتوبةُ إذا صدرتْ عنِ اللهِ عزّ وجلّ في حقِ الإنسانِ فهي المغفرةُ وقبولُ العبدِ بعدَ رجوعهِ عن الذنبِ، وإذا صدرتْ من العبدِ فهي رجوعٌ عن المعصيةِ إلى الطاعةِ.

المطلب الثاني

التوبة اصطلاحاً: ورد لفظ التوبة ومشتقاتها في القرآن الكريم سبعاً وثمانين مرة، كما تناولتها السنة بالإيضاح والتفصيل.

((وهي: عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمورٍ مرتبةٍ:

علم وحال وفعل.

أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب، أمّا تعلقه بالحال فبالترك للذنب؛ الذنب الذي كان ملابساً ، والفعل خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء))[3]، وعرفها بعضهم بالرجوع عن الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة[4].

وعرفها بعضهم الآخر، بالرجوع إلى الله، وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه[5].

---

[1] – مصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد حسن: المعجم الوسيط، ٨٩/١-٩٠.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، ٦١/٢.

[3] – الغزالي: الاحياء ، ٢/٤.

[4] – انظر: الشيخ الكردي، محمد امين: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، ص ٤٤٨.

[5] – انظر: ابن تيمية: التوبة والاستغفار، ص ٧.

وذكر ابن حجر العسقلاني، رحمه الله أن تعريف التوبة هو: ((ترك الذنب لقبحه والنـــدم على فعله والعزم على عدم العود، ورد المظلمة إن كانت ، أو طلب البراءة من صاحبها))[1].

من خلال ما تقدم يرى الباحث ترجيح تعريف الإمام ابن حجر، لأنه تعريف جمع أركـان التوبة كاملة، الترك للمعصية، والندم على فعلها، والعزم على عدم العود لها، ورد المظلمة إلـى أصحابها، إن كانت متعلقة بحق آدمي.

المطلب الثالث: مشروعية التوبة في الكتاب والسنة

من حكمة الله تعالى أن جعل لكل داء دواء، والتداوي واجب في شريعتنا الغراء، والـداء لا يصيب الجسم فحسب بل يتعدى إلى القلوب فتمرض، ومرض القلـــوب: الكفـر، والشـرك، والنفاق، والحسد، والبغضاء، وضعف الإيمان، وارتكـــاب المعـاصـــي والآثـــام، **قـــال تـــعالى:** ﴿في قلوبهمَّ مرضٌ فزادهمُ اللهُ مرضاً ولهمْ عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون﴾[2].

ومرض القلوب أشد فتكاً وأكثر خطراً من مرض الأبدان، إذا لم يرجع الإنسان إلى تعلـم القرآن ، ولذلك شرع الله سبحانه وتعالى التوبة بل أوجبها في كتابه العزيز، وعلى لســان سـيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

فقد قال تعالى: ﴿يا أيها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نّصوحاً...﴾[3].

وقال تعالى: ﴿... وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنونَ لعلكم تفلحون﴾[4].

وعن أبي بردة قال: سمعت الأغر، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحـدث ابن عمر قال: قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((يا أيها الناس توبوا إلى الله فـإني أتـوب اليه في اليوم مائة مرة))[5].

---

[1] – العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ١٢٠/٢٣.

[2] – سورة البقرة: آية ١٠.

[3] – سورة التحريم: اية ٨.

[4] – سورة النور: آية ٣١.

[5] –صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الذكر والتوبة والاستغفار، باب التوبة، ٢٤/١٧.

المبحث الثاني

الفرق بين التوبة والاستغفار ، والإنابة، والأوبة، والعفو

المطلب الأول: الفرق بين التوبة والاستغفار

ورد في كثير من الآيات الكريمة ذكر التوبة والاستغفار منفردتين ومقـــترنتين، وإليـــك الأمثلة على ذلك:

١- ورود كلمة التوبة منفردة.

قال تعالى: ﴿ إنّما التوبة على الله للّذين يعملون السوء بجهالةٍ... ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ويتوبَ اللهُ على المؤمنينَ والمؤمناتِ وكان الله غفوراً رَّحيما﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ وهو الّذي يقبلُ التّوبةَ عنْ عباده ويعفوا عن السّيّئات ويعلمُ ما تفعلون﴾ [٣].

٢- ورود كملة الاستغفار منفردة.

قال تعالى: ﴿والّذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلمَوا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم.. ﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجدِ اللهَ غفوراً رحيما﴾ [٥].

وقال تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنّه كان غفّاراً﴾ [٦].

وقال تعالى: ﴿ فاعلم أنّه لا إله إلاّ اللهُ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات .... ﴾ [٧].

---

[١] – سورة النساء : آية ١٧.

[٢] – سورة الاحزاب: آية ٧٣.

[٣] – سورة الشورى: آية ٢٥.

[٤] – سورة آل عمران: آية ١٣٥.

[٥] – سورة النساء: آية ١١٠

[٦] – سورة نوح: آية ١٠.

[٧] –سورة محمد: آية ١٩

٣- ورود كلمة التوبة مقترنة مع كلمة الاستغفار.

قال تعالى: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونهُ والله غفورٌ رحيمٌ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ وأنِ استغفرُوا ربّكم ثم توبوا إليه.....﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ ويا قومِ استغفروا ربّكم ثمَّ توبوا إليه...﴾ [٣].

أما معنى الاستغفار فهو : ((طلب المغفرة ، والمغفرة هي : وقاية شر الذنوب مع سترها))[٤].

والاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار ، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، أما إذا اقترنتا فيعني الاستغفار: طلب المغفرة من الذنوب الماضية باللسان، والتوبة: تعني طلب وقاية شر ما يخافه من الذنوب في المستقبل ، وإذا وقعت أقلع عنها بالقلب والجوارح[٥].

يتضح مما سبق أن لفظ الاستغفار إذا جاء مفرداً يراد به التوبة، وكذلك لفظ التوبه إذا جاء مفرداً يراد به الاستغفار، والدليل على ذلك في قوله تعالى: ﴿والذّين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموآ أنفسهم ذكروا اللهَ فاستغفروا لذنوبهم...﴾ [٦].

((فجاء معنى كلمة استغفروا لذنوبهم: أقلعوا عن الذنب وتابوا و أنابوا ، أي فسر الاستغفار بالتوبة. ولو تتبعنا الآيات التي ذكرت الاستغفار منفرداً))[٧]، لتبين لنا ذلك.

---

[١] – سورة المائده: آية ٧٤.

[٢] – سورة هود : آية ٣.

[٣] – سورة هود : آية ٥٢.

[٤] – الشيخ كنعان ، أحمد محمد: تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، ص ٤٦.

[٥] – انظر : العربي، عبد المنعم صالح العلي: تهذيب مدارج السالكين، ص ٢٨١، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٦٨.

[٦] – سورة آل عمران: آية ١٣٥.

[٧] – الصابوني: صفوة التفاسير ١/٢٣١.

المطلب الثاني : الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة.

بعد معرفة الفرق بين التوبة والاستغفار يجدر بنا أن نعرف الفرق بين التوبة والإنابة والأوبة، إذ ترد هذه الألفاظ في كثير من الموضوعات التي لها علاقة بالرجوع إلى الله، وترك الذنوب.

فقد عرف ابن منظور الإنابة والأوبة بأنها الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة[1].

وفي التنزيل : ﴿و أنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له...﴾[2].

أما المعنى الإصطلاحي للإنابة والأوبة، فقد توافقت آراء العلماء على تعريفهما بالرجوع إلى الله إلا أنهم فرقوا بينهما في السبب فبعضهم قال : الرجوع في الإنابة حياءً من نظر الله، وقال آخرون: الرجوع في الأوبة تعظيماً لجلال الله[3].

يتبين من خلال ما تقدم أن الرجوع إلى الله تعالى ثلاثة أحوال؛ أولها التوبة، وثانيها الإنابة، وثالثها الأوبة، ولذلك قيل إن التوبة صفة للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً﴾[4].

والإنابة صفة الأولياء والمقربين، **قال تعالى:** ﴿مَّن خشي الرَّحمن بالغيب وجاء بقلبٍ مُّنيب﴾[5].

والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى:﴿ ...نِّعم العبد إنَّه أوَّابٌ﴾[6].

---

[1] -انظر: ابن منظور: لسان العرب ، ٢٥٧/١، ٣١٩/١٤.

[2] – سورة الزمر: آية ٥٤.

[3] – انظر: المتحلي ، محمد رجاء حنفي: مجلة الفكر الاسلامي ، التوبة طريق الرجوع الى الله، ص ٨٠.

[4] – سورة التحريم: آية ٨.

[5] – سورة ق : آية ٣٣.

[6] – سورة ص : آية ٤٤.

المطلب الثالث

الفرق بين التوبة والعفو

معنى العفو لغةً واصطلاحاً

العفو لغةً: ((كل من استحقَّ عقوبة فتركت: فقد عُفي عنه)) [1] .

العفو اصطلاحاً: ((أن يستحق الانسان حقاً فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم وكظم الغيظ)) [2].

وقد تناولت الايات الكريمة والاحاديث النبوية موضوع العفو ودعت اليه في مواطن كثيرة، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى:

﴿ وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾[3]

وقال تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ [4].

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو هريرة رضى الله عنه، انه قال: ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً وما تواضع أحد إلا رفعه الله))[5].

أصبح العدول عن تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع نواحي الحياة أمراً طبيعياً؛ وسنت القوانين الوضعية وشرعت الأنظمة البشرية لتحل محلها، متجاهلين أن شريعة الله عز وجل كافية لإصلاح الإنسان، فجرائم القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر تزداد وتتفاقم وتتنوع طرق ارتكابها بسبب ذلك الابتعاد. ومن خلال هذا المطلب ذكر الباحث تعريف العفو في اللغة والاصطلاح والفروق بين التوبة والعفو، حتى يكون المذنب على بينة من أمره، ويكون عنصر خير وبناء لا عنصر شر وهدم، وحينئذ تهدأ النفوس ويصلح المجتمع وتعود الحقوق إلى أصحابها. أما الفرق بين التوبة والعفو كما يلي:-

---

[1] – ابن فارس، ابو الحسين احمد بن زكريا اللغوي: معجم اللغه، ٦١٥/٣.

[2] – الغزالي: الإحياء، ١٨٢/٣.

[3] – سورة الشورى: آية ٣٠.

[4] – سورة النور: آية ٢٢.

[5] – صحيح البخاري بشرح فتح الباري: كتاب الادب، باب تحويل الاسم الى اسم احسن منه، ٣٨٧/٢٢، رقم الحديث ٦١٩٢.

١-التوبة هي معاهدة العبد ربه على الإقلاع عن الذنب وعدم العودة إليه، أما العفو فهو رفع المؤاخذة من قبل صاحب الحق عن الجاني، فإن كان الحق خاصاً فلا بد من صدور العفو من صاحب الحق الخاص، وإن كان الحق عاماً فيتولى العفو عنه ولي الأمر، وقد يقع العفو من الله في حقوقه ولكن لا نعلمه إلا بنص كما نص الله تعالى بعفوه عمن تولى يوم أحد، وعفوه عمن اختانوا أنفسهم في مباشرة أزواجهم ليلة الصيام قبل أن تباح.

٢-التوبة لا تمنع وقوع العقوبة، فقد تقع التوبة والعقوبة، خاصة إذا كانت في حد من الحدود الشرعية، كما وقع للغامدية التي تابت ثم أخبر صلى الله عليه وسلم عن عظم توبتها مما يشير بقبولها، وقبولها يعني العفو عنها في الآخرة، ولم يمنع ذلك من إقامة الحد عليها في الدنيا، أما العفو فيعني رفع العقوبة عن المذنب.

٣-التوبة غالباً ما تكون طريقاً إلى تطهير المجتمع وتنقيته وإصلاح الجاني ونزع خلايا الشر، أما العفو فقد يكون سبباً لتمادي الجاني وزيادة شره لاسيما إذا كان في غير موضعه، كأن يكون ناتجاً عن محاباة الجاني وعدم تقدير سليم لطبيعته .

٤-التوبة تدعو إلى الطمأنينة وتحسين صورة الجاني في نظر المجتمع إذا لمسوا منه صدق التوبة، أما العفو ان كان ليس له مبرر وعلى حساب مصلحة المجتمع ودخلت فيه الاهواء فيكون مثاراً لسخط واستياء المجتمع.

المبحث الثالث

توبة الأنبياء وحكم التوبة

الواجب على المسلم أن يحرص كل الحرص على معرفة الأفعال التي تتعلق بالحكم الشرعي، حتى لا يترك واجباً يعاقب على تركه، ولا يفعل حراماً يجازى على فعله.

وأمر التوبة من الأمور المهمة التي يجب على المسلم الوقوف على حكمها، إذ لا يستغني أحد عنها من البشر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون))[1].

المطلب الأول: توبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ومن الأهمية أن نبدأ بتوبة الأنبياء، للسير على نهجهم ، وإثباتاً لبشريتهم، وبيان عصمتهم عن ارتكاب المعاصي والآثام.

((فالعصمة ثابته للأنبياء وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها، وميزهم على سائر البشر، فلم تكن لأحد إلا للانبياء الكرام حيث وهبهم الله هذه النعمة العظمى، وحفظهم من ارتكاب المعاصي والذنوب، صغيرها وكبيرها، فلا يمكن أن تقع منهم معصية أو مخالفة لأوامر الله عزوجل بخلاف سائر البشر))[2].

وفي ذلك يقول الامام ابن تيمية رحمه الله: ((الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الإقرار على الذنوب، كبارها وصغارها، وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم... وليست التوبة نقصاً؛ بل هي أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق)).[3]

ومع هذا لم يستغن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن التوبة . والكل مفتقر إلى التوبة وإنما يتفاوتون في المقادير، فتوبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خاص الخواص من ركون القلب إلى ما سوى الله[4].

---

[1] – ابن ماجة: السنن ، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٢/١٤٢٠ رقم الحديث ٤٢٥١.

[2] – الحسيني، عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق عزوجل، ص ٥٤٥.

[3] – ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ١٥/٥١.

[4] – الصابوني، محمد علي: النبوة والانبياء، ص ٥٠.

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((إنه ليُغانُ [*] على قلبـــي ، وإنـــي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة))[1].

ولقد جاء في القرآن الكريم، أمر الله تعالى للأنبياء، أو طلب الأنبيـــاء أنفســهم التوبــة والاستغفار ليس من ذنوب اقترفوها -فهم المعصومون بعصمة الله- وإنما للترقي من حال الـــى حال، ومن المواطن التي ذكرت في القران الكريم مايلي:

١- **ماورد بحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:**

قال تعالى: ﴿فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله واستغفرْ لذنبك....﴾[2].

وقال تعالى:﴿ فاصبر إنّ وعد الله حقٌ واستغفرْ لذنبك ...﴾[3].

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دائم الترقي فإذا ارتقى إلى حال رأى ما قبلها دونها فاســتغفر من الحالة السابقة.[4]

٢- **ما ورد بحق آدم عليه السلام وزوجته:-**

قال تعالى: ﴿قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لّم تغفر لنا وترحمنا لنكونّ من الخاسرين﴾[5].

٣- **ماورد بحق نوح عليه السلام:-**

قال تعالى: ﴿قال ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسئلكَ ماليس لي بهِ علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمْني أكن مّن الخاسرين﴾[6].

---

* - الغين: ما يتغشى القلب، قال القاضي : قيل : الفترات عن الذكر، فاذا فتر عنه عد ذلك ذنباً ، شرح النووي ، صحيح مسلم، ١٦/١٩٠. وانظر: ابن حجر: فتح الباري، ٢٣/١١٩.

[1] - صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه،١٧/٢٣.

[2] - سورة محمد : آية ١٩.

[3] - سورة غافر: آية ٥٥.

[4] - ابن حجر: فتح الباري، ٢٣/١١٩.

[5] - سورة الاعراف: آية ٢٣.

[6] - سورة هود : آية ٤٧.

٤- ماورد بحق إبراهيم الخليل عليه السلام:-

قال تعالى: ﴿ربّنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنينَ يوم يقوم الحساب﴾ [١].

٥- ما ورد بحق موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿... أنت وليُّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ [٢].

٦- ما ورد بحق داود عليه السلام

قال تعالى: ﴿فاستغفر ربَّهُ وخرّ راكعاً وأناب﴾ [٣].

٧- ما ورد بحق سليمان عليه السلام:-

قال تعالى: ﴿ قال ربِّ اغفر لي وَهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنَّك أنتَ الوَهّاب﴾[٤].

فاذا كان هذا موقف هؤلاء المصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام من التوبة والاستغفار ، فماذا يكون موقفنا بعد أن أحاطت بنا الذنوب والمعاصي؟

---

[١] - سورة إبراهيم : آية ٤١.

[٢] - سورة الأعراف : آية ١٥٥.

[٣] - سورة ص : آية ٢٤.

[٤] - سورة ص : آية ٣٥.

المطلب الثاني : وجوب التوبة

إن الدارس لنفسية الإنسان يرى مدى حاجته للتوبة، إذ إن طبيعة الإنسان مهيأة لارتكاب الذنب، مما يستدعي وضع العلاج لها ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم))[1].

ومن رحمة الله تعالى أنه جعلها واجبة في حق المسلم ، وإليك أقوال العلماء في وجوبها: ((التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يستغني عنها أحد من البشر، لأنه لا يخلو أحد عن معصية الجوارح، فإن خلا عنها فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب، وإن خلا عن ذلك فلا يخلو من وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا منها لا يخلو عن غفلة وتقصير في العلم بالله عزوجل بصفاته وأفعاله، كل ذلك على قدر منازل المؤمنين، في أحوالهم ومقاماتهم ، فلكل حال طاعات وذنوب، والذنوب تحتاج إلى توبة))[2].

وقد أكد الإمام النووي رحمه الله على وجوب التوبة بقوله: ((واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة))[3].

وقال القرطبي : ((واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين، وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان))[4].

وذكر صاحب كتاب التوبة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية: ((أن التوبة فرض على المذنب العاصي، صغر الذنب أو كبر، وليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية، لأن الله تعالى توعد العاصين، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة))[5] .

ومما يؤكد ما ذهب اليه العلماء الادلة التالية:-

١-**قال تعالى:** ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[6].

---

[1] – صحيح مسلم بشرح النووي: باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة،١٧/٦٥.

[2] – الجسيني، عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي طريق الحق عزوجل ، ص ٥٤٤.

[3] – صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، ١٧/٢١٨.

[4] – القرطبي : الجامع لاحكام القران ، ٣/٦٠، ٩/١٢٩.

[5] – د. جهاد، جودة حسين: التوبة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية، ص ٣٥.

[6] – سورة النور : آية ٣١.

٢-قال تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نَّصوحاً ... ﴾[١].

٣- قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة))[٢].

من خلال ما تقدم من اقوال العلماء تبين وجوب أنّه لاخلاف بين العلماء في وجوب التوبة، والأدلة تؤكد ذلك حيث جاءت بصيغة الأمر، فقوله تعالى: (وتوبوا) في الآية الأولى، وقوله تعالى: (توبوا) في الآية الثانية، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وتوبوا) ، أمر والامر يفيد الوجوب، ما لم يصرفه صارف، ولاصارف.

المطلب الثالث: فورية التوبة

والمقصود بالفورية هي: المبادرة في التوبة بلا تأخير ولا تسويف؛ لأن الإنسان لا يملك غده أو بعده إنْ أجّل ذلك، والتسويف من الشيطان ليبعد الإنسان عن أعمال الخير.

((وثمة آفة أخرى من أشد الآفات خطراً على انتفاع الإنسان بيومه وحاضره، وهي التسويف والتأجيل، حتى تكاد كلمة "سوف" تصبح شعاراً له وطابعاً لسلوكه))[٣].

((وقد يظهر لكثير من الناس أن التوبة واجبة وجوباً موسعاً، حيث يتصورون أنها مدى العمر، فيقعون في التسويف والتمادي، وهما ركنا الاصرار المذموم في الكتاب والسنة)).[٤]

ومما يثبت وجوب فورية التوبة في الحال قوله تعالى: ﴿والّذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذّنوب إلاّ الله ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ [٥].

---

[١] – سورة التحريم: آية ٨.

[٢] – صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،باب التوبة، ٢٤/١٧.

[٣] – القرضاوي، يوسف: الوقت في حياة المسلم، ص ٦٤.

[٤] – الضبعة، سليم الهلالي: حادي الروح في التوبة النصوح، ص ١٩.

[٥] – سورة آل عمران: آية ١٣٥.

جاء معنى الفاحشة في الآية الكريمة، الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله فيه، ومعنى ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾،ركوبهم معصية الله التي توجب العقوبة،ومعنى ﴿ذكروا الله﴾، ذكروا وعيد الله، ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾، فسألوا ربهم أنْ يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها، ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾، لم يقيموا على ذنوبهم التي أتوها.[1]

فقد تضمنت الآية الكريمة ثلاثة أمور دلت على وجوب فورية التوبة:

أولها: ذكر الله، وذكر الله يعني تصور عظمة الله ومن يتصور عظمة الله يرى في المقابل ضعف نفسه وقبحها في ارتكاب الذنب، فيكون له دافع قوي وفوري لترك ذنبه.

ثانيها: الاستغفار المباشر بعد ارتكاب الذنب الذي بينته الفاء في كلمة فاستغفروا.

وثالثها: عدم الإصرار على الذنب، والمبادرة الفورية في تركه والتخلي عنه، ولذلك جاء المدح من الله تعالى للذين أذنبوا وقاموا بالتصرفات المذكورة في الآية: ذكر الله، والاستغفار، وعدم الإصرار على الذنب. والله لا يمتدح من يتأخر عن التوبة.

ومن الأدلة على فورية التوبة ، قوله تعالى: ﴿إنّما التّوبةُ على اللهِ للّذين يعملون السُّوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريبٍ فأولئك يتوبُ اللهُ عليهم وكان اللهُ عليماً حكيماً﴾ [2].

ومعنى ﴿من قريب﴾ عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الران على القلب فلا يقبل المحو.[3]

ومما يؤكد هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)) [4].

وقد جاءت أقوال العلماء مؤيدة فورية التوبة والتعجيل بها، فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((إنّ المبادرة إلى التوبة من الذنوب فرض على الفور، لايجوز تأخيرها، فمتى

---

[1] – انظر: د. معروف ، عواد بشار و عصام فارس : تفسير الطبري، من كتابه جامع البيان، ٢/٣٣٠ – ٣٣١.

[2] – سورة النساء: آية ١٧.

[3] – د. جهاد، جودة حسين: التوبة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية، ص ٣٥.

[4] – الترمذي: جامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ٦/١٠٤، رقم الحديث ٢٠٥٣.

أخرها عصى بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي توبتة من تأخير التوبة))[1].

وقال الإمام النووي رحمة الله : ((واتفقوا على انها واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها))[2].

وقال الغزالي رحمه الله : ((أما وجوبها على الفور فلا ريب فيه، إذ معرفة كون المعاصي مهلكات ...))[3].

ومن خلال عرض أقوال العلماء في فورية التوبة يتأكد لنا أنها واجبة ولا خلاف بينهم، في ذلك، وهذا الحكم في أصله مصلحة للإنسان حتى لا يتمادى في غيه وطغيانه.

المبحث الرابع

أركان التوبة وأنواعها

تعد الأركان من أهم الأمور التي تقوم عليها ذات الشيء، والتوبة واحدة من الأمور التي لا تقوم ولا تتم إلا بتحقيق أركانها.

هذا ويجب على المذنب الذي اختار طريق التوبة أنْ تكون توبته نصوحاً، أي صادقة وخالصة لله تعالى ومستوفية لجميع الأركان، وإنْ لم تكن كذلك لا تقبل ويحتاج صاحبها إلى توبة أخرى.

المطلب الأول: أركان التوبة

ذكر العلماء أركان التوبة الصادقة الخالصة لله، وفرقوا بين التوبة من التقصير في حقوق الله ، والتوبة من التقصير في حقوق العباد في الأركان، فإن كانت المعصية تتعلق بحق الله فللتوبة ثلاثة أركان، وإن كانت تتعلق بحق آدمي فلها أربعة أركان، أما الأركان فهي:-

---

[1] – ابن القيم: مدارج السالكين، ١/٢٧٢ – ٢٧٣.

[2] – شرح النووي: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، ١٦/٢١٨.

[3] – الغزالي: الاحياء، ٤/٧.

١- الركن الأول: الندم

أي أن يندم المذنب على فعله، والندم هو : ما يحدث في القلب من الألم والحزن نتيجة ارتكاب المعاصي، وعلاماته: الحسرة والفكر، والخوف ، والبكاء ، فلا تتحقق التوبة إلا به. إذ من لم يندم على القبح فذلك دليل على رضاه به وإصراره عليه[١].

واعتبر الامام النووي: ((الندم: ركن التوبة الاعظم)) [٢].

وقد تمسك من فسر التوبة بالندم بحديث ابن مسعود رضي الله عنه رفعه : ((الندم توبة))[٣] ولاحجة فيه لأن المعنى الحض عليه فهو الركن الاعظم في التوبة وليس التوبة نفسها[٤].

والراجح أن الندم هو الركن الاعظم لاشتماله على ركن آخر وهو (الترك)، لأن من ندم ترك وإن لم يترك فلا يكون نادماً.

٢- الركن الثاني: الإقلاع

أن يقلع : أي يكف وينقطع عن المعصية التي كان متلبساً بها، إذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.

٣- الركن الثالث: العزم

العزم على عدم العود الى الذنب، ويعتمد أساساً على إخلاص هذا العزم والصدق فيه[٥].

بحيث لايبقى عنده تردد في المعاوده اليه [٦].

ويجب أن يعلم أن تكون النية صادقه في العزم على عدم المعاودة إلى الذنب حتى تقبل التوبة وهذا الركن محله الضمير ولايعلم به إلا الله.

---

[١] - انظر: الملكي، محمد بن علان الصديقي الشافعي الاشعري: دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين، ص ٧٩.

وانظر : كنعان، الشيخ أحمد محمد: تزكية النفوس وتربيتها، ص ١٢٨؛ المتجلي ، محمد رجاء حنفي بجلة الفكر الاسلامي ، من شروط التوبة الندم، ص ٨٦.

[٢] - صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، ١٦/٢١٨.

[٣] - ابن ماجة: السنن ، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٢/١٤٢٠، رقم الحديث ٤٢٥٢.

[٤] - العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوبه، ٢٣/١٢١.

[٥] - المصدر السابق: ٢٣/١٢١، وانظر :شرح النووي، صحيح مسلم كتاب التوبه باب الحض على التوبة: والفرح بها، ١٦/٢١٨، المكي، محمد بن علان الصديقي الشافعي الاشعري دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ص ٧٩، القرطبي: الجامع لاحكام القران : ٣/٦١.

[٦] - البيانوني، الاستاذ احمد عز الدين: التوبه، ص ٦.

٤- الركن الرابع:ردّ المظالم

أما إذا كانت التوبة متعلقة بحقوق العباد فيجب ان ترد الى اصحابها حتى تتـــم وتقبـل، وليس من صالح الانسان ان يبقى حقوق الناس الى يوم القيامة فقد ورد في الحديث عـــن النبـــي صلى الله عليه وسلم انه قال: ((اتدرون ماالمفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقـال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هـــذا وأكـل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حســـناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار))[١].

فحقوق الناس إذا لم ترد إلى أصحابها في الدنيا ستكون سبباً في دخول النار

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله لـــه النـــار، وحرم عليه الجنة، فقال له رجل: وان كان شيئاً يسيراً يارسول الله؟ قال : وإنْ كان قضيبـــاً مـــن أراك))[٢].

فعلى التائب أن يصلح ما أفسد أو يسترضي من أخطأ في حقه، وأن يرد المظـــالم إلـــى أصحابها أو يستبرئهم منها.

المطلب الثاني: التوبة من الذنوب التي اقترفت في حقوق الله. (*)

تقسم حقوق الله الى عدة أقسام وهي: العبادات المحضة: كالإيمـــان والصـــلاة والزكـــاة والصيام والحج والجهاد، والعبادات التي فيها معنى المؤونة، مثل صدقة الفطر، والضرائب علـــى الأرض العشرية والخراج، وعقوبات تتعلق بحقوق المجتمع عامة كالحدود، وعقوبـــات قـــاصرة كحرمان القاتل من الإرث، وعقوبات فيها معنى العباده، كالكفارات[٣].

ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة ديوان لا يعبـــأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله فأما الديوان الـــذي لا يغفـــره الله

---

١ – صحيح مسلم : كتاب البر والصله والآداب، باب تحريم الظلم،١٣٥/١٦.

٢ – مسلم: الصحيح، كتاب الايمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمن فاجرة بالنار، ١٥٧/٢.

* حقوق الله: ما يتعلق به النفع العام للعام من غير اختصاص بأحد : أي إنه حق للمجتمع د. الزحيلي ، وهبه : أصول الفقه ١٥٢/١.

٣ – د. زيدان ، عبد الكريم: الوجيز في أصول الفقه ،.ص ٨٢، ٨٣.

فالشرك بالله قال الله عز وجل: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ .[1] وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه... وأما الديوان الذي لا يترك الله فيه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة))[2].

قال العلماء: إنْ كان الذنب حقاً لله كترك صلاة فإنّ التوبة لا تصحّ منه حتى ينضمّ إلى الندم قضاء ما فات منها، وهكذا إنْ ترك صوماً أو تفريطاً في الزكاة[3]. ولا تصح التوبة من حقوق الله تعالى حتى تستوفي الأركان الثلاثة: الندم، والترك، والعزم على ألا يعود إلى مثلها.

المطلب الثالث : التوبة من الذنوب التي اقترفت في حقوق العباد. [*]

تشتمل حقوق العباد أموراً متعددة منها حقوق الأفراد المالية: كضمان المتلفات، واستيفاء الديون والدية، ونحو ذلك ، وهذا النوع من الحق يكون الخيار في استيفائه إلى المكلف نفسه، فإن شاء أسقطه وإن شاء استوفاه[4].

ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون دينار ولادرهم، إنْ كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإنْ لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه))[5].

ونوع آخر من حقوق العباد اختلف العلماء في إبلاغ صاحبها والتحلل منه، كالغيبة والشتم ، والقذف:

١-الرأي الأول: اشترط بعض العلماء الإبلاغ والتحلل ، واحتجوا بأن الذنب حق آدمي فلا يسقط إلاّ بإحلاله منه والبراءة.

---

[1] – سورة المائدة : اية ٧٢.

[2] – احمد: المسند، كتاب باقي الأنصار رقم الحديث ٢٤٨٣٨.

[3] – انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٩٩/٩.

[*] – حقوق العباد: ما يتعلق به مصلحة خاصه كحرمة مال الغير، د. الزحيلي، وهبه: اصول الفقه الاسلامي، ١٥٢/١.

[4] – انظر: د. زيدان، عبد الكريم: الوجيز في اصول الفقه، ص ٨٤.

[5] – صحيح البخاري شرح فتح الباري: كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته؟، ١٨٣/١٠، رقم الحديث ٢٤٤٩.

٢- الرأي الثاني: لايشترط الإبلاغ بما نال من عرضه وقذفه واغتيابه، بل تكفي التوبة بينه وبين الله، وأن يذكر المغتاب والمقذوف في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكر فيه ويستغفر له[١].

وقد وجد الباحث أن الرأي الثاني أرجح؛ لأن المذنب لا يضمن صاحب الحق، فقد يفضي الاستحلال إلى كراهية المذنب من قبل صاحب الحق كما قد يحدث خلاف بينهما.

ولا تقبل التوبة حتى تستوفي أركانها الأربعة في حقوق العباد، وهي الندم، والترك ، والعزم على عدم العودة لمثل ذلك الذنب، وأن يرد المظالم إلى أصحابها.

[١] - العربي، عبد المنعم صالح العلي: لهذيب مدارج السالكين، ص ٢٥٧-٢٥٨.

الفصل الثاني

نماذج من التائبين

المقدمة:

إن المتتبع لأحوال المسلمين سواء الصحابة رضوان الله عليهم ، أو السلف الصالح يتبين له أن حياتهم لم تخلُ من الوقوع في الخطأ بالرغم من شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالخيرية عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم:((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.....))[1] . ولا يعتبر ذلك مطعناً في دينهم إذا ما فاءوا الى أمر الله، لأنّ التوبة بعد الذنب تكون سبباً في فتح كثير من أبواب الخير .

وكم من تائب جدد العهد مع الله وأصبح أفضل مما كان عليه، ومنهم من أشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تكون جميع أمواله صدقة في سبيل الله، ومنهم من عاهد الله أن لا يتكلم إلا صدقاً طوال حياته. وآثار التوبة عظيمة جداً ستذكر إن شاء الله تعالى في مكانها.

وسيعرض الباحث في هذا الفصل نماذج من التائبين من الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، ثم نماذج من الذين ورد ذكرهم في السنة النبوية المطهرة، ونماذج أخرى من السلف الصالح، مبيناً أسماءهم وأنسابهم وذنوبهم وتوباتهم والآثار التربوية المستفادة من توباتهم. لذلك جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول

نماذج من التائبين ورد ذكرهم في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : توبة أبي لبابة رضي الله عنه.

١- اسمه ونسبه

٢- ذنبه

٣- توبته

٤- الآثار التربوية المستفادة

المطلب الثاني : توبة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

١- اسمه ونسبه

٢- ذنبه

---

[1] - صحيح البخاري بشرح فتح الباري: كتاب الشهادات، باب لايشهد على شهادة جور اذا شهد، ٧٦/١١، رقم الحديث ٢٦٥١.

٣- توبته

٤- الآثار التربوية المستفادة.

المطلب الثالث : توبة كعب بن مالك رضي الله عنه

١- اسمه ونسبه

٢- ذنبه وتوبته

٣- الآثار التربوية المستفادة.

المبحث الثاني

نماذج من التائبين ورد ذكرهم في السنة النبوية الشريفة.

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : توبة (أبي سفيان) صخر بن حرب بن أمية رضي الله عنه.

١-اسمه ونسبه

٢- ذنوبه وتوبته

٣- الآثار التربوية المستفادة

المطلب الثاني : عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه.

١- اسمه ونسبه

٢- ذنبه وتوبته

٣- الآثار التربوية المستفادة.

المبحث الثالث

نماذج من التائبين من السلف الصالح.

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : توبة إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى

١- اسمه ونسبه

٢- ذنبه وتوبته

٣- أقواله التي تتعلق بالتوبة

٤- الآثار التربوية المستفادة

المطلب الثاني : توبة الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى .

١- اسمه ونسبه

٢- ذنبه وتوبته

٣- الآثار التربوية المستفادة.

المطلب الثالث : توبة بشر بن الحارث الحافي رحمه الله تعالى.

١- اسمه ونسبه

٢- ذنبه وتوبته

٣- الآثار التربوية المستفادة.

أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال: (بلى إنْ شئت)). قال فقامت على باب حجرتها- وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب- فقالت يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه)).[1]

بذلك تنزلت رحمات الرحمن تبارك وتعالى على عبده التائب أبي لبابة مبشراً بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، الذي تهلل وجهه الشريف بالبشر في وقت يتجلى فيه المولى عز وجل على عبيده بالتوبة والغفران.

ومن طبيعة هذه الحادثة أن تترك آثاراً طيبة على صاحبها وعلى مجتمع المسلمين، ينبغي تتبعها والوقوف عندها طويلاً.

٤- الآثار التربوية المستفادة من هذه الحادثة.

إن المتبصر في هذه الحادثة يرى الآثار على قسمين قسم خاص بصاحب الحادثة وقسم عام ينتفع منه المسلمون، فالآثار العائدة على شخصية التائب تظهر من خلال تتبع كلامه وتصرفاته.

الآثار التربوية الخاصة:

يقول أبو لبابة: فندمت فاسترجعت، وإن لحيتي لمبتلة بالدموع، والناس ينتظرون رجوعي إليهم.[2]

- فالندم من أهم شروط التوبة الصادقة، وهو من علامات تعظيم الذنب، والتصريح بالرجوع تصميم أكيد على العودة إلى الله تعالى وترك أمر الشيطان، ومن مظاهر صدق الندامة والرجوع إلى الله تعالى البكاء من الذنب.

ومن أقواله وهو يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم : ((إنّ من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي كله صدقة الى الله تعالى ورسوله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجزئك يا أبا لبابة الثلث)) .[3]

- ومن الآثار هجران الذنب، والأبلغ من ذلك هجران المكان الذي ارتكب فيه الذنب، وهذا فيه تأديب للنفس وإبعادها عما ترغب كما فيه هجران معنوي ومادي.

---

[1] -ابن هشام : السيرة النبوية، ٣/٤٤٠-٤٤١

[2] -انظر: ابن قدامة المقدسي : التوابون، ص ١٣٧

[3] -المرجع السابق، ص ١٣٦.

– ثم إن الذنب كان سبباً في الصدقة، حيث قال أبو لبابة :((إنّ من توبتي أن أنخلع من مـــالي كله صدقة إلى الله ورسوله)).

والصدقة بعد الخطيئة وسيلة لإطفائها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((... الصلاة والصوم جُنَّةٌ حصينةٌ والصدقة تطفئُ الخطيئة كما يطفئ الماء النار...))[1] .

الآثار التربوية العامة

– وصف الله تعالى أبا لبابة بالإيمان بعد ارتكاب الذنب والتوبة، إذْ من يرتكب ذنباً ثـم يعـود إلى الله تعالى نادماً صادقاً لم تتخلع عنه صفة الإيمان، وإنما تتجدد بالتوبة، وهذا من فضـل الله تعالى على المؤمنين.**قال تعالى:** ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾.[2]

– الفورية في الإنابة إلى الله تعالى، وعدم التسويف، إذْ إن سرعة العودة إلى الله تعالى تغلـق أبواب الشيطان، وتعد من دواعي قبول التوبة .

يقول ابو لبابة:((فما برحت قدماي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله)).

– معاقبة النفس على الذنب، حتى تكون ذليلة لله عز وجل؛ لأن النفس أمـارة بالسـوء، فقـد انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ربط نفسـه بسـارية المسجد.

– حسن الظن بالله تعالى، وأنّ الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً

قال أبو لبابة: ((لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت)).

– مشروعية البشرى واستحبابها لما لها من الأثر الطيب على النفس، وهذا ما حصل مـن أم سلمة – رضي الله عنها– حينما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه تيب على أبـي لبابة، قالت:قلت أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال " بلى ....." فقامت علـى بـاب حجرتـها، فقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك .

– تفويض الأمر والتسليم لله ولرسوله وعدم تجاوزهما فثار الناس ليطلقوا أبا لبابة فقـال: لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده.

---

[1] – الترمذي: السنن، كتاب الجمعة، باب ماذكر في فضل الصلاة، ٥١٣/٢.

[2] – سورة الأنفال : آية ٢٧

المطلب الثاني : توبة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه

١- اسمه ونسبه

هو : ((حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي المكي، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي، من مشاهير المهاجرين، شهد بدراً والمشاهد)). [١]

((أصله من اليمن أزدي)) [٢]

توفي سنة ثلاثين للهجرة في خلافة عثمان بن عفان، وله خمس وستون سنة. [٣]

٢- ذنبه

فطر الله سبحانه وتعالى الانسان على حب البنين ومن الناس من يبالغ في ذلك الحب، وربما يوقعه في محذور أو إثم. وصاحب التوبة كان من هؤلاء.

كتب حاطب إلى أهل مكة قبل حركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إليها عام الفتح يخبرهم ببعض ما يريد بهم من الغزو اليهم، وبعث كتابه مع امرأة فنزل جبريل بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. [٤]، وقد نزلت بحق حاطب آية من سورة الممتحنة تنهى عن اتخاذ العدو ولياً:-

﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم منّ الحقّ...﴾[٥] وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد: إن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة.[٦]

وقد وضح النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح موقف حاطب مع مشركي مكة قبيل فتحها، حيث قال علي رضي الله عنه: ((بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبا

---

[١] – الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، ٢/ ٤٣، وسأذكر هذا المرجع فيما بعد بأسم السير.

[٢] – العك، خالد عبد الرحمن : موسوعة عظماء حول الرسول، ص ٦١٤.

[٣] – ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/ ٣٤٨، وانظر:الذهبي : السير، ١/٤٥، ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة، ١/٣٠٠، الجزري، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١/٤٣٣.

[٤] – ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/٣٤٩، وانظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٢٨٣-٢٨٤، الذهبي: السير،٢/٤٤.

[٥] – سورة الممتحنة : آية ١

[٦] –انظر : الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير، ٣/٤٨١-٤٨٢، وانظر الطبري : تفسير الطبري، ٧/ ٢٧١، الصابوني : صفوة التفاسير، ٣/٣٦٠.

مرثد والزبير وكلنا فارس، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأةً من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: الكتاب، فقالت: مامعنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتخرجنّ الكتاب أو لنجرّدنّك، فلما رأت الجدّ أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساءٍ فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما حملك على ما صنعت، قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أردت أن يكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدرٍ، فقال: لعلّ الله اطلع إلى أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله اعلم)). [1]

من خلال ما تقدم يتبين لنا الخطأ الذي وقع به الصحابي حاطب هو تبليغه مشركي مكة بقدوم جيش المسلمين فاتحاً، وهذا يعني أخذ جميع الاحتياطات اللازمة والاستعداد التام لصد جيش المسلمين، ويترتب على هذا احتمال هزيمة جيش المسلمين وقلب الموازين لصالح المشركين. ولجلال الأمر وعظم شأنه نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، ولم يتوان النبي صلى الله عليه وسلم في إرسال مجموعة من فرسان المسلمين ليمنعوا وصول الخبر إلى قريش بواسطة الكتاب الذي تحمله المرأة، واعتبر الفاروق رضي الله عنه أن هذا التصرف هو خيانة لله وللرسول وللمؤمنين يستحق صاحبه أن تضرب عنقه، والأمر الذي ينفي ما ذهب إليه دفاع حاطب عن نفسه وتأكيده على أنه ما فعل ذلك كفراً، وإنما هي العاطفة التي زلت بها قدمه، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم لقوله وحضوره غزوة بدر كانتا فيصلاً بين الإيمان والكفر.

---

[1] -صحيح البخاري بشرح فتح الباري: كتاب المغازي، باب غزوة الفتح الاعظم، ١٠٩/١٦، رقم الحديث ٤٢٧٤.

٣- توبته

وبعد فإن الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وحاطب الذي وجه من خلاله تساؤلاً فيه العتاب والتأنيب، فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما حملك على ما صنعت؟)).

وجاء الرد يحمل معاني الصدق، فقال حاطب يا رسول الله : ((ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، .....)). [١]

فقد عنى بكلامه: أنني لو كنت أعلم أن هذا الفعل كفراً أو غشاً أو حباً للمشركين أو ضرراً على المسلمين ما فعلته، وكان صادقاً فيما يقول، وقد صدقه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((... صدق ولا تقولوا له إلا خيراً ....)).

٤-الآثار التربوية المستفادة من توبة حاطب بن أبي بلتعة:

* الآثار الخاصة

- شهادة الله تعالى له بالإيمان، وهذا أعظم أثراً، مادام الإنسان في دائرة الإيمان، فهو قادر -بإذن الله تعالى- أن يرقى في الدرجات العلا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تَتَّخذوا عدوّي وعدوَّكم أولياء تلقون إليهم بالمودَّة... ﴾ [٢].
- ومن الآثار الخاصة التي نالها حاطب بعد توبته أن نال الخير من الله تعالى، فمن محبة الله للمؤمن أنْ جعل أمره كله خيراً، إنْ أصابته نعماء شكر وإنْ أصابته بأساء صبر، وليس ذلك لغير المؤمنين، فالذنب الذي يرتكبه المؤمن بأساء عليه إنْ تعامل معه بالندم، والاستغفار ينقلب إلى نعماء بإذن الله تعالى يثاب عليه، فما أروع هذا الكرم والسخاء.
- ومن الآثار العظيمة التي كان سببها الإيمان، بشارة النبي صلى الله عليه وسلم له بدخول الجنة، فقد كانت الحادثة وارتكابه الذنب سبباً مباشراً للكشف عن الأمور الغيبية التي يتمنى الكثير بأن يعلمها ويطمئن على خاتمته، فعن جابر، أنّ عبداً لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشكو حاطباً فقال يا رسول اللهّ ! ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية)). [٣]

---

[١] - الزمخشري: الكشاف، ٥١١/٤

[٢] - سورة الممتحنة : آية ١

[٣] - صحيح مسلم بشرح النووي: باب من فضائل حاطب بن ابي بلتعة واهل بدر رضي الله عنهم، ٥٧/١٦، حديث رقم ٤٥٥١.

- ومن الآثار الأخرى، وصف النبي صلى الله عليه وسلم له بالصدق، إذْ إنْ الصدق علامة مميزة للمؤمن، والصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والحدث الذي شهد له فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالصدق عند اعتذاره عن موقفه من الكتاب المرسل لأهل مكة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((.... صدق ولا تقولوا له إلا خيراً)). [1]
- تصحيح الخطأ لمن وقع منه الذنب، كما ينبغي النظر إلى حسنات الشخص في مقابل سيئاته فإذا وقع في خطأ لا يجوز أن نتجاهل فيما له من حسنات وهذا يدل على أن فعله ليس عن قصد أو سوء نية.

- الآثار العامة:

- تأييد الله تعالى ونصره لدينه ونبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا أخذوا بالأسباب، وكان من سنته صلى الله عليه وسلم، إذا أراد أن يغزو قوماً لم يعلم اصحابه بوجهته حتى يفاجئ القوم، ولما كان موقف حاطب يفضي إلى كشف احد اسرار غزوة الفتح، تدخلت عناية الله ونصره لدينه ولنبيه وللمؤمنين، والله غالب على أمره.
- ومنها الاعتماد على عنصر الشباب في القضايا التي تحتاج إلى همة عالية وسرعة في الأداء، وهذا توجه ينبغي للأمة أن تنتبه له وتأخذه بعين الإعتبار، وهذا ما عبر عنه بالمقولة: (وضع الرجل المناسب في المكان المناسب). قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبا مرثد والزبير وكلنا فارس))، أي فرسان.

- ومنها حسن التقدير في الموازنة بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، والذي أوقع حاطباً في الخطأ تقديمه لمصلحته الخاصة، وقال النفر الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم، في إثْر المرأة – لتخرجن الكتاب أو لنجردنك الثياب، فقد آثر النفر من المسلمين مصلحة الأمة على مصلحة تلك المرأة.
- ومنها الوقوف عند حكم الله ورسوله وان ظهر للإنسان صحة حكمه وتصرفه، وأنْ يتراجع فور علمه بذلك الحكم، وهذا ما فعله عمر عندما عرف حقيقة الأمر، فقد وصف حاطباً بالخيانة وأراد أن يضرب عنقه، فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وذكّره بان حاطباً من أهل بدر، دمعت عيناه، وقال : الله و رسوله أعلم.

---

[1] – صحيح البخاري بشرح فتح الباري: كتاب المغازي، باب غزوة الفتح الاعظم، ١٠٩/١٦ ، رقم الحديث ٤٢٧٤.

المطلب الثالث : توبة كعب بن مالك رضي الله عنه

١-اسمه ونسبه

هو : ((كعب بن مالك بن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، الخزرجي)). [١] شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فتاب الله عليهم ، شهد العقبة ، مات سنة أربعين [٢] .

٢- ذنبه وتوبته:

جاءت تسمية غزوة تبوك بغزوة العسرة لعدة أسباب منها : الحر الشديد، وبعد المسافة، وكثرة العدو، وقلة الظهر والزاد، فهذه الأسباب وغيرها كانت سبباً في كشف نوايا المنافقين، فكان تخلفهم عن دراية تامة وإصرار مسبق، والحديث عنهم وعن تخلفهم ليس مدار بحثنا وإنما تخلف نفر من المؤمنين، ونخص بالذكر كعب بن مالك الأنصاري الذي هو مدار بحثنا في هذا المطلب. والسبب الرئيس في تخلفه هو التسويف والتباطؤ، حتى استطاع الشيطان أن ينال من كعب بعض ما يريد، ولم يكن تخلفه عن إرادة سابقة أو تصميم، وهذا ما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال الحديث عن المخلفين في غزوة تبوك. ولقد صور القرآن الكريم مشاهد مَنْ تخلف عن هذه الغزوة أجمل تصوير وعبر عنه أدق تعبير، حيث فضح الله المنافقين ورد أعذارهم الكاذبة وأكد صدق المؤمنين وقبل توبتهم، ومن هؤلاء النفر كعب بن مالك الأنصاري.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لقد تّاب الله على النّبيّ والمهاجرين والأنصار الّذين اتّبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منّهم ثمّ تّاب عليهم إنه بهم رؤف رّحيم * وعلى الثلاثة [٣] الّذين خلّفوا حتّى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنّوا أن لاّ ملجأ من الله إلاّ إليه ثمّ تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التّوّاب الرّحيم﴾ [٤]

((والآية الكريمة لها ارتباط بالآية التي قبلها حيث تحدثت عن توبة الله على النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار، وتأويل الكلام أنّ الله تاب على الثلاثة الذين خلفهم

---

[١] – السير: الذهبي، ٥٢٣/٢

[٢] – السير : الذهبي، ٥٢٦/٢

[٣] – الثلاثة المقصودون في الآية الكريمة، كعب بن مالك ، مرارة بن الربيع، هلال بن أمية ، الزمخشري: الكشاف،٣٠٣/٢.

[٤] – سورة التوبة : آية ١١٧-١١٨.

فأرجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾، يقول: بسعتها، غماً وندماً على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)) [1] ، ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم﴾.

((أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور؛ لأنها جرحت من فرط الوحشة والغم ، ﴿وظنوا﴾ وعلموا أنْ لا ملجأ من سخط الله إلاّ إلى استغفاره ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ ثم رجع بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم)) . [2]

ومن خلال وصف القرآن الكريم لنفسية المخلفين الثلاثة يظهر لنا مدى صدقهم في التوبة وندمهم الشديد على ما فعلوا . ثم جاء كلام النبي صلى الله عليه وسلم موضحاً ومفسراً لهذه الحادثة يقول كعب بن مالك : ((وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة... فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً ... وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، فأنا اليها أصعر* ... وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت . فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمَّر بالنَّاس الجدُّ ... ولم أقض من جهازي شيئاً ... فهممت أنْ أرتحل فأدركهم ، فياليتني فعلت ... ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال : ((ما فعل كعب بن مالك ؟)) قال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه والنظر في عطفيه ، فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، ... فلما بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثِّي ، فطفقت أتذكَّر الكذب ، وأقول : بمَ أخرج من سخطه غداً؟... فلما قيل لي : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل ... فأجمعت صدقه ... ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، ... حتى جئت فلمَّا سلَّمت تبسَّم تبسُّم المغضب، ثم قال : ((تعال)) ... فقال لي : ((ما خلفك ؟ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟)) قال : قلت : يا رسول الله ، إنِّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنِّي سأخرج من سخطه بعذر، ... ولئن

---

[1] – د.معروف، بشار عواد والخرستاني، عصام فارس: تفسير الطبري، ١٦٨/٤.

[2] – الزمخشري : الكشاف ، ٣٠٤/٢

* – أصعر: أي أميل، النووي: شرح صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصاحبه، ٢٤٢/١٧.

حدَّثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه لأرجو فيه عقبى الله .والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلَّفت عنك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أمَّا هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك)) ... قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثَّلاثة من بين مَنْ تخلَّف عنه . قال : فاجتنبنا الناس . وقال : تغيَّروا لنا حتى تنكَّرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ... قال: ثُمَّ صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلةً على ظهر بيتٍ من بيوتنا . فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجلَّ منَّا قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع[1] يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً،وعرفت أنْ قد جاء فرج . قال : فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ... فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت له ثوبيَّ فكسوتهما اياه ببشارته ، ... فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة، ... فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّأني، ... فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال كعب : فلمَّا سلَّمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وهو يبرق وجهه من السرور ويقول : ((أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمُّك))... قال فلمَّا جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إنَّ من توبتي أنْ أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أمسك بعض مالك فهو خير لك)) ... قال : وقلت : يا رسول الله إنَّ الله إنَّما أنجاني بالصِّدق ، وإنَّ من توبتي أنْ لا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيت ... والله ما تعمَّدت كذبةً منذ قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا ...)) [2]

لقد كان كعب صريحاً صادقاً فيما يقول فلم يخْفِ على النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان صادقاً في بيان سبب تخلفه ، فلم يلجأ للكذب بالرغم من أنه كان يستطيع ذلك في الوقت نفسه، وكان صادقاً في توبته مع أن ذلك سيكلفه الكثير الكثير ، ولكن الله تعالى جعل بعد العسر يسراً وبعد الضيق فرجاً ومخرجاً. وهذا سيظهر جلياً من خلال بيان الآثار التربوية المستفادة من هذه الحادثة.

---

[1] – أي صعده وارتفع عليه، وسَلْع جبل بالمدينة المنورة معروف، صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، ١٧/٢٤٥.

[2] – صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ١٧/٨٧.

٣- الآثار التربوية المستفادة من توبة كعب بن مالك:

لقد تضمنت هذه الحادثة آثاراً عظيمة ومتعددة ميز الله سبحانه وتعالى من خلالها بين المؤمن والمنافق، وبين الصادق والكاذب، وبين المحبة والجفاء ، وإليك هذه الآثار:

- التحدث بنعم الله وبيان رعايته له في الشدائد ، فلولا نعمة الله تعالى ومنته على كعب بن مالك كاد أن يتراجع عن صدقه، قال كعب : ((فو الله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أنْ أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسي)). [١]
- اعتراف العبد بذنبه فضيلة ممهدة لقبول توبته والعفو عن زلته ، قال كعب : ((والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك)) يقصد النبي صلى الله عليه وسلم .
- الغيبة خلق ذميم ينبغي للمؤمن هجرانه .
- من صفات المؤمن الصدق ، فلا يكذب بحال وإنْ كان الكذب يعود بالمنفعة العاجلة. قال كعب : ((فلما قيل لي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك)) أي يقصد النبي صلى الله عليه وسلم.
- الهجر في الله تعالى سنة إسلامية حكيمة وهدي نبوي كريم يستخدم في تأديب المذنبين ، وهذا يجعل المذنب يشعر بقيمة إخوانه وحاجته إليهم ، قال كعب : ((فاجتنبنا الناس ، وقال : تغيَّروا لنا حتى تنكَّرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد))[٢] .
- المؤمن يبتلى وقد يشتد بلاؤه ليميز الله الخبيث من الطيب، وليعلم الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، لقد كان تخلف كعب ابتلاءً عظيماً في مصارعة الشيطان في قول الحق، يقول كعب:" فلما بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بم أخرج من سخطه غداً ؟"
- المؤمن الحق يفرح لأخيه في فرحه ويواسيه في حزنه، والبشرى في أمر الخير سنة حسنة. وهذه المعاني تورث المحبة .

---

[١] - المصدر السابق، ٩١/١٧.

[٢] - المصدر السابق، ٩٢/١٧.

يقول كعب :فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني، وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين، غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة .

- باب التوبة مفتوح مهما عظم الذنب أو تكاثرت المعاصي أو استحكمت الغفلات، فلا ينبغي لعبد أن يقنط من رحمة الله وعفوه، والذي يقف على أحداث حادثة كعب بن مالك يرى مدى عناية الله ورحمته بالمؤمنين، فكانت الإشارات دالة على هلاكه لولا فضله الله وكرمه ومنته أن ثبّته على الصدق. [1]

- مقابلة عفو الله وقبول التوبة بالطاعة والشكر.

يقول كعب: " يا رسول الله إنّ من توبتي أنْ أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله " .

" وإنّ من توبتي أنْ لا أحدّث إلاّ صدقاً ما بقيت".

- كذلك معرفة الفضل لأهله ورد الجميل لهم.

قال كعب بن مالك : ((لما نزلت توبتي قبلت يد النبي صلى الله عليه وسلم)).[2]

- وقوع العقوبة وتقلبها من التائب تأنيباً لنفسه دون ان يتبعه ذلك إلى التمادي فيما وقع فيه، وهذا الحال تعبير عن صدق توبة المؤمن فلا يزداد إلا تضرعاً وتوجهاً الى الله ولا يدفعه ذلك إلى التخلى عن موالاة الله ورسوله قال تعالى: ﴿...وظنُّوا أن لاَّ ملجأ من الله إلا إليه..﴾ [3].

---

[1] - اقتبست هذه الآثار من البيانو ني : التوبة، ٨٦- ٩٢، بتصرف

[2] - ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢١/ ٢٠٢

[3] - سورة التوبة: آية ١١٨.

المبحث الثاني

نماذج من التائبين ورد ذكرهم في السنة النبوية المطهرة

عالج النبي صلى الله عليه وسلم تصرّفات المشركين التي كانت تعترض دعوته بحكمةٍ وأناة، وأخص بالذكر قضية العداء الشديد والبغيض من قبل نفر منهم حتى وصل الأمر بالنبي صلى الله عليه وسلم، أن يهدر دم بعضٍ منهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة، وتتدخل المشيئة الربانية بأن يتولى بعضاً منهم فيعلنون إسلامهم، ويعلنون انتهاء عداوتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم . فيتبدل كفرهم إيمان وعداوتهم محبة وفرقتهم ألفة، ومن هؤلاء أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وهما مدار الحديث في هذا المبحث.

المطلب الأول:

توبة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية رضي الله عنه.

١- اسمه ونسبه

هو: ((أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، وكان من أشراف قريش في الجاهلية ويقال مات سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين أو ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين وقيل صلى عليه ابنه معاوية وقيل عثمان ودفن بالبقيع)) [1].

٢- ذنوبه وتوبته

لم يكن لأبي سفيان ذنب واحد فحسب كالذين سلفوا من التائبين بل سيل من الذنوب ، فكان لا يترك مجالاً يستطيع فيه العداء إلا عادى، ولا موقفاً فيه تحريض أوصد عن سبيل الله إلا حرض وصد، والذي مكنه من ذلك موقعه من قبيلته، فكان سيدها المطاع، فمكث عشرين سنة عدواً لله ورسوله صلى الله عليه وسلم،و قاد جيش المشركين في غزوتي أحد والخندق. وسياق القصة كما يرويها العباس عندما سأله ابو سفيان فقلت: ((هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس قد دلف إليكم بما لاقبل لكم به، في عشرة آلاف من المسلمين، قال: فكيف

---

[1] - ابن عبد البر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤/٨٥-٨٨.

الحيلة؟ فقلت: تركب في عجز هذه البغلة، فأستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فردفني، فخرجت أركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ قالوا: عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسوله الله صلى الله عليه وسلم، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فنظر فرآه خلفي فقال عمر: أبو سفيان؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد، ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركّضت البغلة حتى اقتحمت على باب القبة، وسبقت عمر، فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت يارسول الله، إني قد أمنته...فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب به، فقد أمنّاه حتى تغدو به عليّ بالغداة، فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: ويحك يا أبا سفيان!، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟! فقال: بأبي أنت وأمي، ما أوصلك وأرحمك وأكرمك! والله لقد ظننت أنْ لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، فقال: ويحك يا أبا سفيان! أولم يأن لك أنْ تعلم أني رسول الله؟ فقال بأبي وأمي، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك!.... فتشهد)) [1].

وأخيراً أدرك أبو سفيان أنّ هذا الدين حق، وأنه مؤيد من السماء، وأن محمداً عبدالله ورسوله، مما دفعه أنْ يتلقى النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق قبل دخوله مكة، وأنْ يتذلل له ويلازمه، ويصر على المشاركه في قتال هوازن، حتى وصل به الأمر أنْ يقول : "والله يعلم أني أريد الموت دونه".

والذي يثبت مدى تأثره بالإسلام سيرته بعد إسلامه والآثار الإيجابية التي انعكست على نفسيته، وهذا ما سيتتبعه الباحث من خلال الحديث عن الآثار التربوية المستفاده من قصة إسلامه في عنوان منفصل.

٣- الآثار التربوية المستفادة من قصة إسلام أبي سفيان.

تقاس أهمية الأثر بحجم النفع الذي يعود على صاحبه وأي نفع أعظم من استبدال الإيمان بالكفر، والجنة بالنار، وصحبة الأخيار بصحبة الأشرار، والحسنات بالسيئات، فقد كان أبو سفيان أبعد الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأشد عداوة له إلى أن أسلم. ويستفاد من توبته الآتي:

---

[1] - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١١/٥٦-٥٧.

- مضاعفة الجهد في عمل الخيرات للتكفير عما مضى.
- وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم بصفاته الحقيقية-بعد إسلامه- من صلة الأرحام والحلم والرحمة والكرم، قال أبو سفيان:"لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيراً"[1] .
- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إنقاذ النفس البشرية من النار وإخراجها من الظلمات إلى النور، وهذا يظهر من خلال عرض الإسلام على أبي سفيان.

أما الآثار الجهادية فتتمثل بما يلي:

- مشاركته في غزوة حنين والطائف، وقد أصيبت عينه يوم الطائف فلم يزل أعوراً حتى أصيبت عينه الأخرى يوم اليرموك[2].
- مشاركته في معركة اليرموك، وله فيها عدة مواقف.

١- مشورته في كيفية المسير إلى الروم.

((جلس الأمراء للمشورة في كيفية المسير إلى الروم، فجاء أبو سفيان فقال: ما كنت أظن أني أعمر حتى أدرك قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة اجزاء، يسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم تسير الأثقال والذراري في الثلث الثاني، ويتأخر خالد بالثلث المتبقي حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار المتبقون ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد، فامتثلوا ما أشار به، ونعم الرأي هو))[3].

٢- تحريضه على القتال:

- لقد سار في صف المسلمين وهو يقول: يا معشر المسلمين، أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم، منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين وإمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ولا يبلغ رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا بها ولتكن هي الحصون[4].

---

[1] - أنظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٩٠/٢.

[2] -انظر: ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٥١/١١ وانظر : ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٨٨/٤.

[3] - ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٧.

[4] - انظر: ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢١٥/٤.

- ((ومر بابنه يزيد، فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر...، فاتق الله يا بني ولا يكونن احد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب، ولا أجرأ على عدو الإسلام منك. فقال : أفعل إنْ شاء الله ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً، وكان من ناحية القلب في المعركة)) [1].

- **وحرض النساء فقال:** من رأيتنه فاراً فاضربنه بهذه الحجارة والعصي حتى يرجع [2]. والتحريض دلالة حب الاشتراك في العمل، والدال على الخير كفاعله.

المطلب الثاني

توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه .

١- اسمه ونسبه

هو : ((عكرمة بن (أبي جهل)، واسم أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم القرشي المخزومي، وأمه أم مجالد وكنية عكرمة: أبو عثمان)) [3]. الشريف الرئيس الشهيد، أبو عثمان القرشي المخزومي المكي، لما قتل أبوه تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة[4].

((استشهد في اليرموك وقيل يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سنة[5]. وقيل استشهد يوم أجنادين)) [6].

والراجح أنه استشهد باليرموك بعد ما وجد به بضع وسبعون ما بين ضربة وطعنة، سنة ١٥ للهجرة[7].

---

[1] – ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/١٤

[2] – انظر: المصدر السابق، ٧/١١.

[3] – الجزري، ابن الأثير: أسد الغابه في معرفة الصحابه، ٤/٧١، وانظر : ابن منظور مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٠/١٣٤.

[4] –انظر: الذهبي: السير، ١/٣٢٤.

[5] – الزركلي؛ الأعلام ، ٤/٤٤٤، وانظر : ابن عماد شذرات الذهب، ١/١٦١.

[6] – ابن كثير : البداية والنهاية، ٧/٧٤، وانظر : السير: الذهبي، ١/٣٢٤.

[7] – انظر: العك ، خالد عبد الرحمن: موسوعة عظماء حول الرسول، ٢/١٣٦٢.

٣- ذنبه وتوبته:

لا تختلف سيرة عكرمة الأولى كثيراً عن سابقه أبي سفيان، فقد امتدت عداوته إلى عام الفتح حتى وصل الأمر بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يهدر دمه ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة، ولكن مشيئة الله ورحمته عظيمة بأنْ جعلته في عداد الصحابة الكرام.

((وكان عكرمة شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فارساً مشهوراً، ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب منها ولحق باليمن، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ونفر معه عندما سار إلى مكة. ولما هرب عكرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب البحر فأصابتهم عاصفة، فقال أصحاب السفينة لركابها: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة : إن لم ينجني في البحر إلاّ الإخلاص، ينجيني في البر غيره، اللهم لك عليّ عهد إنْ أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريماً)) [١].

يمكن أنْ تمر على الإنسان لحظة من اللحظات- وفي أصعب الأحوال والظروف- يسقط عن فطرته اللثام ويزول عنها الران، فينطق بالحق دون عناء، فطوبى لمن اختار طريق الحق وسلك فيها، فكان عكرمة أحد السالكين .

((وقيل إن زوجته أم حكيم بنت الحارث سارت إليه وهو في اليمن بأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت أسلمت قبله يوم الفتح)) [٢].

((وانطلق عكرمة مع زوجته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مغمور بنور الايمان، وما أنْ بلغ مجلس النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام إليه صلى الله عليه وسلم، هاشّاً باشّاً والابتسامة طافحة تغمر محياه وعانقه وهو يقول : ((مرحباً بالراكب المهاجر))[٣]. فلامست هذه الكلمات قلب عكرمة))[٤]، فاستعذب الايمان، وأحب الإسلام، ونطق بالشهادتين، ويشهد على ذلك من حضره وهو يعاهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقول له: ((والله يا رسول الله!! لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله))[٥].

من خلال ما تقدم يتأكد لنا مدى سعة صدر النبي صلى الله عليه وسلم وسماحته وعفوه، فقد تقبل عكرمة من غير تأنيب أو معاتبة على مواقفه العدائية، وبالمقابل شجاعة

---

[١] - ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٣٤/٢٠، وانظر : الجزري ، ابن الأثير: أسد الغابه في معرفة الصحابه، ٧١/٤.

[٢] - الجزري ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧١/٤.

[٣] - الترمذي: جامع الترمذي بشرح تحفة الاحوذي، كتاب الاستيذان والأداب، باب ما جاء في مرحباً، ٤/٨، رقم الحديث ٢٨٧٩.

[٤] - الجميلي، صادق : مجلة التربية الاسلامية، التوبة ، ص ٢٧٥.

[٥] - انظر: ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٣٧/١٧.

عكرمة وصدقه واعترافه بالذنب وتبدل أحواله، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال الآثار التربوية المستفادة من قصة إسلامه.

٣-الآثار التربوية المستفاده من قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه.

((كان عكرمة من سادات قريش وقادتها في الجاهلية، فأصبح من سادات المسلمين وقادتهم، انكشفت له الحقائق العليا، وأدرك مقدار خطيئاته الماضيات)) [١].

وبقدر هذه النقلة العجيبة يكون حجم الآثار ومنها؟

١- **الانتقال من الشرك إلى الإيمان.**

فالانتقال من الشرك إلى الإيمان عمل لا يوازيه شيء، ومنه يتفرع كل أمر فيه خير، وبه يستقيم الإنسان، وبهذا الاعتقاد الصحيح والنهج القويم تبدلت أحواله وأفكاره، يقول في أحد مواقفه الجهادية ردا على من قال له: ارفق بنفسك: "كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعزى وأبذلها، أفاستبقيها الآن عن الله ورسوله؟ لا والله أبدا " [٢].

٢- **مواقفه الجهادية المتميزة**

- اشتراكه في حروب الردة وبلاد الشام.

((كان له في قتال أهل الردة اثر عظيم ، استعمله أبو بكر الصديق وسيره إلى أهل عمان، فظهر عليهم، ثم وجهه إلى اليمن، ولما فرغ من قتال أهل الردة سار إلى أهل الشام مجاهدا مع جيوش المسلمين، فبينما يطوف أبو بكر في معسكرهم بصر خباء عكرمة ، فسلم عليه، وجزاه خيرا، وعرض عليه المعونة، فقال : ((لا حاجة لي فيها، معي ألف دينار فدعا له بخير))[٣].

---

[١] - الجميلي، صادق: مجلة التربية الاسلامية ، العدد الخامس، ص ٢٧٦.

[٢] - انظر: ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٣٩/٢٠.

[٣] - انظر: الجزري، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧١/٤.

- بلاؤه يوم فحل*

عن الزهري: أن عكرمة يومئذ -يعني يوم فحل- كان أعظم الناس بلاء وأنه كان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه، فقيل له: اتق الله وارفق بنفسك ، فقال : كنت أجاهد بنفسي عن اللات والعزى وأبذلها أفاستبقيها الآن عن الله ورسوله؟ لا والله أبدا. فلم يزدد إلا إقداما[1].

ليس غريبا على عكرمة هذه المواقف حيث كان في الجاهلية فارسا شجاعا، وكان يوم احد في مقدمه جيش المشركين وعلى ميسرته، لكنه اصبح يقف مجاهدا في سبيل الله وشتان بين من يقاتل دفاعا عن اللات والعزى وبين من يقاتل لإعلاء كلمة الله.

- استشهاده في معركة اليرموك

((وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقعهم إلا المحامية* التي عليها عكرمة وعمه الحارث بن هشام، فقال عكرمة يومئذ : قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم في كل موطن ثم أفر اليوم؟ ثم نادى : من يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط µ حتى أثبتوا جميعا جراحا))[2].

((ولما كان يوم اليرموك نزل فترجل، فقاتل قتالا شديدا ، فوجدوا به بضعا وسبعين ما بين طعنة وضربة ورمية، ولما ترجل قال له خالد بن الوليد: لا تفعل فإن قتلك على المسلمين شديد، فقال خل عني يا خالد ، فإنه قد كان لك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقة وإني وأبي كنا أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى حتى استشهد)) [3].

((وذكر الزبير قال: حدثني عمي عن جده عبد الله بن مصعب قال: استشهد باليرموك الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو، وأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه كلما دفع إلى رجل منهم قال : اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوه، قال : طلب عكرمة الماء فنظر إلى سهيل ينظر إليه، فقال : ادفعه إليه، فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقال: ادفعه إليه فلم يصل إليه حتى ماتوا)) [4].

---

* فحل: اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم، ويوم فحل مذكور في الفتوح، الحموي. ياقوت: معجم البلدان ٤/٢٣٦-٢٧٣.

[1] - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٠/١٣٩.

* المحامية : حمى الشيء حميا وحمى وحماية وحمية: منعه ودفع عنه. والحامية: الرجل يحمي أصحابه في الحرب، وهو ايضا الجماعة يحمون أنفسهم، ابن منظور: لسان العرب، ٣/٣٤٨

[2] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٤١٣.

[3] - ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٠/١٣٨.

[4] - ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/١٠.

وذلك أثر من أعظم أثار التوبة الذي به يتحول الإنسان من عداوته لله ورسـوله إلـى الاستشهاد في سبيل الله، ولا أطيب ولا أفضل من أن تكون نهاية التائب يقطر جسمه دماً فـي سبيل الله، فهذه شهادة له مكتوبة بمداد الدم وبيراع الرماح والاسنة. وهكذا قد اوفـى عكرمـة بكل ما عاهد الله ورسوله عليه.

ومن الآثار التربوية المستفادة

- وجوب رحمة الراعي برعيته، والسماحة والعفو والصفح من سمات القائد المسلم.
- الإيثار والمحبة بين المسلمين
- الإكثار من الأعمال الصالحة والإستغفار، مطلب ضروري بعد التوبة.
- الإسلام يظهر محاسن الرجال، وينمي الطاقات.
- المرأه الصالحة سبب في جلب الخير لزوجها وأولادها وللجميع .

فقد كانت أم حكيم سبب في اسلام زوجها عكرمة.

المبحث الثالث

نماذج من التائبين من السلف الصالح

بعد أنْ كان الحديث في المبحثين السابقين عن مجموعة من الاعلام جمعتهم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم،الذين تحدث القران الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم عن توبتهم، فجاء التعبير دقيقاً، والوصف واضحاً، وظهرت العبرة، وسيبسط الباحث الحديث عن مجموعة أخرى من الأعلام من السلف الصالح وقعوا في بعض الذنوب ثم أنابوا إلى الله تعالى، وسيكون تسلسل الحديث عنهم حسب تاريخ الوفاة كما يلي:

١-توبة إبراهيم بن أدهم، المتوفى سنة ١٦١هـ رحمه الله.

٢-توبة الفضيل بن عياض، المتوفى سنة ١٨٧هـ رحمه الله.

٣-توبة بشر بن الحارث الحافي المتوفى سنة ٢٢٧هـ رحمه الله.

المطلب الأول

توبة إبراهيم بن ادهم رحمة الله تعالي.

١-اسمه ونسبه:

هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الامام العارف، سيد الزهاد ، أبو إسحاق العجلي. وقيل التميمي، الخراساني البلخي[١].

أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد ، كانت له همة عالية في ذلك، سكن الشام ودخل دمشق، وروى الحديث، وحدث عنه خلق كثير[٢].

٢- ذنبه وتوبته:

((روى إبراهيم بن بشار وهو خادم إبراهيم بن أدهم،قال قلت : يا أبا إسحاق كيف كان أوائل أمرك حتى صرت إلى ما صرت إليه؟ قال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان، وكان من المياسر، وحبب إلينا الصيد فخرجت راكباً فرسي وكلبي معي، فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحركت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت ، ولا بذا أمرت. فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحداً فقلت: لعن الله إبليس، ثم حركت فرسي فأسمع

---

[١] - الذهبي: السير، ٣٧٨/٧.

[٢] - انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣٥/١٠.

أودع الله سبحانه وتعالى أسراراً عظيمة وكثيرة في قرآنه المعجز، فتظهر هذه الأسرار حسب مشيئة الله من غير إنذار سابق ودون تفريق بين مؤمن وكافر أو مطيع وعاص، وربما تمر على أهل المعاصي لحظات أو مشاهد أو سماع آيات من القران تخشع فيها قلوبهم لذكر الله، فتكون سبباً في إحقاق الحق وإزهاق الباطل، والفضيل واحد من هؤلاء اعتراه الباطل حيناً من الدهر ثم فاء الى امر الله.

وقد ظهر ذلك من خلال كلامه وتصرفاته بعد التوبة، ويظهر جلياً بذكر الآثار التربوية المستفاده من توبة الفضيل بن عياض التالية الذكر:

٣- الاثار التربوية المستفادة من توبة الفضيل بن عياض.

- الصدق في التوبة تجعل التائب يضحي في كثير مما يحب.
- ترك المعاصي والذنوب، والبحث عن أوقات وأمكنة الطاعات

ورد على لسان الفضيل قوله: ((والله لاجتهدن ألاّ اعصي الله أبداً))[1].

وقوله : ((وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام)).

- كثرة حياء الطائع لله، وقلة حياء العاصي من الله ومن الناس.

المطلب الثالث

توبة بشر بن الحارث الحافي رحمه الله.

١- اسمه ونسبه:

هو: ((بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الامام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم، ولد سنة اثنتين وخمسين ومئة، ومات يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين عاش خمساً وسبعين سنة))[2].

٢- ذنبه وتوبته.

---

[1] -انظر: ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢٠/٣٠٠.

[2] - الذهبي: السير، ١٠/٤٦٩-٤٧٦.

((يقول محمد بن الصلت: سمعت بشر بن الحارث- سئل ما كان بدء أمرك؛ لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي- قال : هذا من فضل الله، وما أقول لكم كنت رجلاً عياراً* صاحب عصبة، فجزت يوماً فإذا أنا بقرطاس في الطريق فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته في القرطاس، فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته لأطيبن اسمك في الدنيا والآخره، ثم كان ما كان.

وحكي أن بشراً كان في زمن لهوه في داره وعنده رفقاؤه يشربون فاجتاز بهم رجل من الصالحين ، فدق الباب. فخرجت إليه جارية، فقال صاحب الدار: حر أو عبد؟ فقالت: بل حر، فقال: صدقت لو كان عبداً لله لا ستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتهما، فسارع إلى الباب حافياً حاسراً، وقد ولى الرجل ، فقال للجارية: ويحك! من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى، فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا ، فتبعه بشر حتى لحقه ، فقال له: يا سيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ فقال: نعم. قال : اعد علي الكلام. فأعاده عليه. فمرغ بشر خديه على الأرض ، وقال : بل عبد، ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عرف بالحفاء.

فقيل له: لم لاتلبس نعلاً؟ قال : لأني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات)) [1].

من المتعارف عليه أنّ التوبة تكون بالنطق أحياناً، وبالندم على فعل القبيح حيناً آخر، ويمكن أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً فيترك العمل السيء ويندم على فعله، ويمكن أن يكون ذلك أبلغ في التوبة؛ لأن فيه دلالة على حسن النية والاسراع في العمل الصالح، وهذا بشر بن الحارث كانت توبته على هذه الشاكلة؛ وبالرغم من عمله المعاصي والذنوب والإعراض عن أمر الله تعالى لم يرض أن يُهان اسم الله تعالى، بهذا الجهد القليل الكبير في معناه قبل الله توبته وأعلى منزلته، وتغير مجرى حياته، ويجدر بنا الوقوف على هذه الآثار الإيجابية، وإليك هذه الآثار:-

---

* العيّار: الذي يخلي نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها، إبراهيم مصطفى والزيات، احمد حسن: المعجم الوسيط، ٦٥٤/٢.

[1] - المقدسي، ابن قدامه: التوابون، ص ٢٢٩-٢٣٠.

٣- الآثار التربوية المستفادة من توبة بشر بن الحارث الحافي

المقارن لأفعال بشر قبل التوبة وبعدها يجد الفارق كبيراً، فقد تغيرت أحواله وتبدلت أفعاله،كان رجلاً عياراً صاحب عصبة، فاصبح كما يقول الزركلي" له في الزهد والورع أخبار"[١].

- للكلمة الطيبة صدى كبير وأثر عظيم لا يعلمها إلا الله وللكلمة السيئة آثارها السيئة، قال تعالى: ﴿أدعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن إن ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[٢].

فلو التزم الناس بهذا التوجيه، يصبح كثير من الكلام لاحاجة له وتركه منجاة للإنسان ومرضاة للرب، فقد وقعت كلمات الرجل الصالح من نفس بشر موقعها وكان لها أعظم الأثر في نقله من حياة العصيان إلى حياة الطاعة.

- عظم جود وكرم الله تعالى ومضاعفة أجر العمل القليل إن كان خالصاً لوجه الله تعالى.
- الإسراع في التوبة دليل على صدق صاحبها.
- معاهدة الله تعالى على العمل الصالح حتى الموت.

---

[١] - انظر: الزركلي: الاعلام ، ٥٤/٢.

[٢] - سورة النحل: آية ١٢٥

الفصل الثالث

الآثار التربوية للتوبة

المقدمة:

للتوبة آثار من الناحية النفسية؛ اذ انها تعمل على وقاية الانسان من الوقوع في براثن الاضطرابات والقلق والعذاب النفسي، وللتوبة آثار سلوكية تتمثل في انها من أهم الدعائم الخلقية التي يجب على المسلم ان لايتخلى عنها، وتشتمل على اساليب تربوية تعليمية فريدة، ولها آثار من الناحية الاجتماعية، إذ ان الاسلام لايفترض في الانسان أنه ملك منزه عن الخطايا، أو انه يستطيع ان يعيش وحيداً بل يسعد بلقاء الاخرين والتعامل معهم، ومن المتوقع ان يخطأ في حق الاخرين، فتأتي التوبة لتحقيق هذه الاثار.

ولذلك قسمت الفصل الثالث الى ثلاثة مباحث وقسمت المبحث الواحد الى مطلبين جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: الآثار النفسية للتوبة.

١- **المطلب الأول:** أثر التوبة في تزكية النفس .

٢- **المطلب الثاني:** أثر التوبة في علاج بعض أمراض النفس.

المبحث الثاني: الآثار السلوكية للتوبة.

١-**المطلب الأول:** أثر التوبة في تعديل السلوك وممارسة الأعمال الحسنة.

٢-**المطلب الثاني:** أثر التوبة في ترقية الإنسان من حال إلى حال.

المبحث الثالث: الآثار الإجتماعية للتوبة.

١-**المطلب الأول:** أهمية التوبة في محاصرة الجرائم والتقليل من خطرها.

٢-**المطلب الثاني:** أثر التوبة على سلوكيات المجتمع واقتصاده.

الفصل الثالث

المبحث الأول

الآثار النفسية للتوبة

تعد المحافظة على النفس البشرية في الشريعة الإسلامية من الضرورات الشرعية التي ينبغي الاهتمام بها ورعايتها، حتى تنشأ على الاستقامة، وقد يمر عليها ظروف وأحوال تهمل فيها فتميل إلى ارتكاب الذنوب والمعاصي، وهنا تبرز أهمية التوبة على النفس في إرجاعها عن غيها وتوفير البيئة الصالحة لها حتى تلتزم بمنهج ربها.

التزكية لغةً: الزكاة الصلاح. ورجل تقيّ زكيّ، أي زاك من قوم أتقياء أزكياء، وزكى نفسه تزكيةً مدحها، وزكى الرجل نفسه إذا وصفها وأثنى عليها[1].

التزكية اصطلاحاً: الظهر من الادناس، والسمو عن النقائص، ووضع النفس حيث يطيب موضوعها، ويرتفع قدرها[2]. وقد حث القران الكريم على تزكية النفس بقوله تعالى: ﴿قد افلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾ [3].

وعرفها البعض بـ تطهير النفس من الشرك وما يتفرع عنه، وتحقيقها بالتوحيد وما يتفرع عنه وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة لله[4].

والتوبة واحدة من الامور المهمة التي بها تطهر النفس وتسمو وترقى من حال الى حال افضل.

((ان الاستقامة واصلاح النفس وتزكيتها صفات تفتح باب الامل للذين تورطوا في الاثم لتغيير حياتهم الى حياة افضل، وتبعد عنهم اليأس من اصلاح أنفسهم، لأن اليأس إذا تمكن من نفوسهم جعلهم عنصر شر لايمكن اصلاحه[5].

---

[1] – أبن منظور : لسان العرب ، ٦٤/٦.

[2] – طباره، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الاسلامي، ص٢٠٦.

[3] – سورة الشمس: آية ٩،١٠.

[4] – حوى، سعيد: المستخلص في تزكية الانفس، ص ١٨١.

[5] – طباره، عفيف عبد الفتاح: روح الدين الاسلامي، ص ٢٠٦.

المطلب الأول

أثر التوبة في تزكية النفس

كما ان للذنوب والمعاصي دور أساسي في إضعاف صلة العبد بربه والتي تتمثل بالعبودية، حيث يقول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجنَّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾[1].

وبالتوبة يعود المسلم إلى عبودية الله لما يلي:

١-التوبة سبب في تذلل العبد لربه وتحقق صدق العبودية له.

لا تتحقق للنفس عزتها وسكينتها إلا إذا تذللت وخضعت لخالقها راضية راغبة، وأقبلت عليه خائفة وجلة، وبذلك تنال الأمن، ويتذوق المسلم لذة المناجاة لخالقه عزوجل، فتشرق نفسه وينشرح صدره وتصغر الدنيا في عينيه[2].

والدعاء مخ العبادة وعنوان العبودية الحقة، وبه يخضع الإنسان ويذل، ومن خلاله تُطلب التوبة والمغفرة من الله عز وجل معترفاً بألوهيته.

وما العبودية إلا صدق اللجوء الى الله تعالى وإخلاص النية في التوجه إليه والتذلل والانقياد لأوامره في كل لحظة من لحظات حياة الفرد المسلم، والتوبة دعاء وتضرع وتذلل وإقرار بقدرة الله ومشية والتي يعتبر التصديق بهما من الفرائض التي تتحقق من خلالها العبودية لله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنّ عبداً أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً فاغفر، فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً فقال : رب أذنبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء)).[3]

---

[1] – سورة الذاريات آية٥٦.

[2] – د. كرزون، أنس أحمد : منهج الإسلام في تزكية النفس ، ٣٦٨/١.

[3] –صحيح البخاري بشرح فتح الباري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ((يريدون ان يبدلوا كلام الله)) ((إنه كقول فصل)) حق ((وما هو بالهزل)) اللعب،٢٦١/٢٨.

وبالتوبة يكمل العبد مراتب الذل والخضوع وهي أربعة مراتب: [1]

١-ذل الحاجة والفقر، وهذه عامة في جميع الخلق.

٢-ذل الطاعة والعبودية، وهو خاص لأهل طاعته.

٣-ذل المحبة فالمحب ذليل وعلى قدر محبته يكون ذله.

٤-ذل المعصية والجناية،وحقيقة ذلك الفقر والحاجة إلى رحمة الله في مغفرة الذنب.

فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع اصبح المرء أكثر ذلاً لله.

٢-تطهير النفس وانشراح الصدر

تمر على الانسان حالات يكون فيها قلق النفس تعتريه الكآبة أحياناً، وغالباً يشعر بذلك بعد ارتكاب ذنب من الذنوب وتعجز الاسباب المادية في علاج مثل هذه الأمراض، ولا بد من اللجوء إلى الأسباب الروحية التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما﴾[2].

والمؤمن الذي يقع في المعصية يحجبه سكر الشهوة عن إدراك عِظم معصيته، فإذا انتبه وتيقظ ندم وصار الندم ناراً تتأجج في قلبه لا يطفىء لهيبها إلا التوبة النصوح التي تعيد إلى القلب طمأنينته، وتغسل ما علق به من أدران المعاصي [3]. وبالتوبة يدخل المؤمن مرحلة جديدة من الصفاء ويسدل على ماضيه الستار، وفي هذا راحة لنفسه وطمأنينة لقلبه، الأمر الذي يدفعه الى تقويم سلوكه والتسابق الى فعل الخيرات واجتناب الشر.

وقد امتدح الله تعالى عباده المسارعين الى التوبة دون تسويف او مماطلة فقد قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم...﴾[4].

٣-عزة مقام التائب

من الآثار التي تعكسها التوبة على المسلم شعوره بالعزة المستمدة من الله تعالى تعبيراً عن تركه لأمر الدنيا -التي لا تساوي عند الله شيئاً- وتمسكاً بأمر الآخرة.

ترى التائب الصادق من الدنيا متقللاً، ذليلاً خاشعاً، حزيناً باكياً، منقبضاً عن أبناء الدنيا، شعثاً أغبر، لو اطلع الجاهل على قلبه وما أودعه الله تعالى من احسانه وما أعقبه مما

---

[1] - الشيخ كنعان، احمد محمد: تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، ١٣٤ - ١٣٥.

[2] - سورة النساء: آية ١١١.

[3] - د. كرزون، أنس احمد: منهج الاسلام في تزكية النفس ١/٣٧٠.

[4] - سورة آل عمران: آية ١٣٥.

ترك من زينة الحياة الدنيا ونعيمها، لرغب في مقامه، وعلم أنه الغني، الفرح المسرور؛ لأنه أدرك بغيته وظفر بمحبة ربه[1].

وكلما ابتعد الإنسان عن عبودية الله اقترب من عبودية البشر والشهوات، إذ إن العبوديتان لا تلتقيان ولا تجتمعان في قلب مؤمن، والفرق بينهما كبير، فعبودية الله هي العزة بعينها؛ لأن الإنسان يعبد من يستحق العبادة وهو الإله والرب المتصف بصفات الكمال، وعبودية البشر والشهوات هي الذل بعينها فصاحبها يذل ويخضع لبشر مثله.

التوبة سبب في وصول العبد إلى محبة الله وفرحه به.

إذا كانت التوبة سبباً في وصول العبد إلى محبة خالقه وفرحه به، فينبغي عليه أن لا تفارقه في جميع الأحوال، وأن يحرص دائماً على أن تكون مقبولة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿... إِنَّ اللهَ يحب التَّوَّابِين ويحب المتطهرين﴾[2].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليه طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح))[3].

إن هذا الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه، وهذه فرحة إحسان وبر ولطف، ذلك ان الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله، وشرفه وخلقه لنفسه، وخلق كل شيء له[4].

وجعل التوبة وسيلة لمحبته وعبادة يتقرب بها اليه، وعملاً طيباً يؤدي إلى الرضى والفرح.

ولم يكن هذا الفرح في شيء من الطاعات غير التوبة، ولاشك أن ذلك له تأثير عظيم في حال التائب واقباله على ربه المنعم المتفضل الذي يحب العبد المتذلل[5].

---

[1] -انظر: المحاسبي: التوبة، ص ٤٢.

[2] – سورة البقرة: آية ٢٢٢.

[3] -صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، ٦٣/١٧.

[4] – العربي عبد المنعم صالح العلي: تهذيب مدارج السالكين، ٢٠٩.

[5] – انظر: د. كرزون، أنس أحمد: منهج الإسلام في تزكية النفس، ٣٦٣/١-٣٦٤.

٤- التوبة تفتح أمام الإنسان باب الأمل في ألا يعاقبه الله على ذنوبه أو بعضها، مما يدفعه للعمل والعبادة.

من مقاصد الإسلام أن يكون المسلم عضواً نافعاً لنفسه ولمجتمعه فترى الإسلام يعمل على إزالة الحواجز التي تمنعه من فعل الخير، والذنب سبب من الأسباب التي تصد الإنسان عن ذلك، لاسيما إذا اعتقد بعدم زواله.

والعبد المذنب إذا كثرت ذنوبه وسد أمامه باب التوبة وتوهم أن طريق العودة إلى ربه مقفل في وجهه، فإنه سيصاب باليأس، وينظر إلى الحياة الدنيا نظرة سوداء قاتمة، وتخبو آخر ومضة من نور الإيمان في قلبه، واليأس داء قاتل، والمريض إذا يئس من الشفاء ترك الدواء، وزادت علله وأمراضه بما يعتريه من كآبة وبؤس حتى يغدو كالميت وإنْ كان يعيش مع الأحياء[١].

يقول الله عزوجل: ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم﴾.[٢]

وتأتي أهمية قبول التوبة بعد ارتكاب الذنب وأن الله يغفر الذنوب جميعاً، من حيث إنها من أهم الدوافع للعمل الصالح والعبادة وتدارك ما فات من أعمال الخير.

---

[١] - المرجع السابق، ٣٧٢/١.

[٢] - سورة الزمر: آية ٥٣.

١-التوبة تزيل الشعور بالنقص والاضطراب النفسي.

يقصد بالنقص والاضطراب أن المذنب يشعر بالاحتقار لنفسه فيراها دون الناس، والاضطراب زيادة التفكير وتضارب الآراء في آن واحد، فتراه يحس بالإحباط، وفتور الهمة، والرضى بالقليل والانزواء، وعدم الثقة بالآخرين.

((والشعور بالذنب إلى درجة كبيرة من المشاعر المدمرة لنفسية الإنسان، وكثير من الأمراض النفسية الواسعة الانتشار في أيامنا هذه مردها إلى شعور الفرد الحاد بالذنب، ومن الامراض القلق، ولوم الذات وتأنيبها، وتعنيفها وعقابها)) [١].

وهنا تأتي أهمية التوبة في تخليص المذنب من الشعور بالدونية فتعيد له الثقة بالنفس وتخلصه من وساوسه بتفويض أمره إلى الله تعالى.

٢-التوبة تنقذ الإنسان من آلام الضمير

وآلام الضمير التي قيل عنها إنها أشد من آلام الأمراض الجسمية تشبه لظى جحيم يعض قلوب المجرمين ليلاً ونهاراً ولا تفارقه، ولا يمكن تسكينها بالعقاقير والأدوية المختلفة[٢]، بل إن دواءها يكمن بالإلتجاء والإعتصام وذكر الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣].

والقلوب تطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما شاء الله، مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء، وإن هناك لحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون معتمداً على الله، مطمئناً إلى حماه، مهما أوتي من القوة والصلابة والاعتداد[٤].

وفي هذا بيان للمذنبين والمجرمين إنْ كانوا مسلمين أن يرجعوا ويتوبوا إلى الله تعالى، وان كانوا غير مسلمين فلن يجدوا حلاً في غير الإسلام.

---

[١] – د. العيسوي ، عبد الرحمن: التوبة وصحة المسلم العقلية، ص ٧٠.

[٢] – انظر : د. يالجن، مقداد: التربية الاسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، ص ١١٧ – ١١٨.

[٣] – سورة الرعد: آية ٢٨.

[٤] – انظر: قطب، سيد: الظلال ، ٤/٢٠٦٠.

٣-التوبة سبب في التطهير الإنفعالي.

بعد أن يرتكب الإنسان الذنب تمر على البعض حالة المراجعة الذاتية التي يشعر من خلالها بحمل ثقيل، فيبدأ بالبحث عن جهة يثق بها سواء أكان قريباً أم صديقاً حميماً لبث ذلك الهم، ثم يتردد كثيراً خوفاً من أن يعلن أمره.

والقرآن الكريم إذْ يفتح باب التوبة للناس جميعاً، يعطيهم بذلك مفاتيح الصحة النفسية التي تقوم على السلام النفسي وانعدام الصراعات الداخلية؛ لأن التوبة ما هي إلا الصورة المثلى لما يسميه أصحاب علم النفس بـ ((التطهير))[١].

والتوبة إلى الله تعالى في هذه الحالة تؤدي من الناحية النفسية إلى ما يعرف باسم التفريغ الانفعالي أي تصريف الشحنات الإنفعالية المحبوسة والمكبوتة في داخل الفرد، وهي نوع من التطهير الانفعالي، وبه يشعر الإنسان بالراحة والأمان والاطمئنان والاستقرار[٢].

وقد ضرب القرآن الكريم الأمثلة الكثيرة لمثل هذه الحالة، فعلى سبيل المثال ما حصل مع سيدنا يعقوب عليه السلام حين بلغ به الحزن مبلغه، قام يشكو بثه وحزنه إلى الله تعالى، وقد صور لنا القران الكريم حالة الحزن التي مر بها من خلال قوله تعالى: ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾[٣]. وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابه لا تشاركه هذه القلوب التي حوله، ولا تجاوبه، فينفرد في معزل.... ويكظم حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكمداً[٤].

وفي خضم هذا الحزن والكمد يتوجه يعقوب عليه السلام إلى ربه بقوله تعالى على لسانه: ﴿إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾[٥].

وفي هذا أسلوب إيماني وتربوي فريد، فإذا ما تعرض الإنسان للحزن والمعاناة وارهاق النفس عليه اللجوء إلى الله تعالى الذي يفرج الكرب، ومع هذا التفريج يكون قد أصاب رضى الله تعالى؛ لانه دليل على الاعتراف والإقرار بالربوبية لله تعالى وحده.

---

١ – ابو سريع، زكي محمد: التائبون في القرآن الكريم، ص٤.

٢ – د. العيسوي، عبد الرحمن: المعنى النفسي للتوبة، ص ٧٠ .

٣ – سورة يوسف: آية ٨٤.

٤ – قطب، سيد: الظلال، ٤/٢٠٢٥.

٥ – سورة يوسف: آية ٨٦.

٤-اشتمال آيات التوبة على أسلوب تعليمي تربوي.

وهو التوسل إلى الله سبحانه بالإيمان أن يغفر له وهذا التوسل محض الإيمان ، فقال تعالى: ﴿الّذين يقولون ربّنا إنّنا آمنّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ [١].

ففي دعائهم ما ينم عن تقواهم، فهو إعلان للايمان، وشفاعة به عند الله، وطلب للغفران وتوقٍّ للنيران[٢].

ويقول تعالى: ﴿ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنّا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار﴾[٣].

فهذا توسل واستجداء بالإيمان لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات.

٥-وفي آيات التوبة تعليم لأدب مهم من أدب الدعاء.

وهو التذلل والاستعطاف والترجي وبيان حالة الضعف التي عليها الإنسان، وتنزيه الله سبحانه وتعالى وتعظيمه.

قال تعالى: ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا ربنّا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا ربنّا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [٤].

يقول صاحب الظلال: وهو دعاء يصور حال المؤمنين مع ربهم، وإدراكهم لضعفهم، وعجزهم، وحاجتهم إلى رحمته وعفوه، وإلصاق ظهورهم إلى ركنه، والتجائهم إلى كنفه، وانتسابهم إليه، وتجردهم من كل عداوة[٥].

---

[١] - سورةآل عمران: آية ١٦.

[٢] - قطب، سيد: الظلال، ٣٧٦/١.

[٣] - سورة آل : اية ١٩٣.

[٤] - سورة البقره: آية ٢٨٦.

[٥] - قطب، سيد: الظلال ، ٣٤٥/١.

٦-ومن آثار التوبة على المسلم أن يرى آثار حلم الله وكرمه عليه

حيث لا يعاجله بالعقوبة بعد المعصية، فتحدث عنده محبته لله وتصميم لترك المعاصي والذنوب . قال تعالى : ﴿ولو يعجل الله للناس الشَّر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾[١].

المطلب الثاني

أثر التوبة في ترقية الإنسان من حال إلى حال

من حكمة الله سبحانه وتعالى أنه لا يديم لعباده حالة واحدة، فيمتحنهم بالشدة والرخاء ويبلوهم بالخير والشر فتنة، وهذا الابتلاء يُمكّن الإنسان من أن يتقدم ويتطور، فينتقل من الضعف إلى القوة، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلم إلى العدل، ومن الذنوب إلى الطاعة[٢].

وآثار التوبة في ترقي الإنسان من حال إلى حال تتمثل في :

١-التوبة سبب في تبديل السيئات حسنات.

قال تعالى: ﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رّحيما﴾[٣].

وهذا فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل، إلا أن العبد اهتدى ورجع عن الضلال، إلى حمى الله، ولاذ به بعد الشرود والمتاهة[٤].

ولنا أن نتصور هذا العرض الإلهي الذي به يستميل العبد العاصي إذْ لم يقف هذا الكرم عند مغفرة السيئات فحسب، بل تعداها إلى أن تبدل حسنات، وهذا الكرم عز وجوده في هذا الوجود، فهو يغرس في نفس المذنب التفكير الجدي والسريع في ترك الذنوب والمعاصي، فيرتقي من حالة العصيان إلى الطاعة التي أصبح له فيها رصيد من الحسنات بفضل الله

---

[١] - سورة يونس: آية ١١.

[٢] - الهجو، جميل عبد الرزاق: مجلة التربية الاسلامية، ، ص ٢٧٠.

[٣] - سورة الفرقان: آية ٧٠.

[٤] - قطب، سيد: الظلال، ٢٥٧٩/٥.

تعالى، فيحاول بكل جهد أن لا يضيعه، وبهذا تحول العاصي إلى طائع بفضل الله الذي فرض التوبة على عباده.

٢-النظر للمستقبل وتجديد الإيمان حتى لا يتساوى يوماه.

الإنسان المبصر للحقيقة هو الذي يرى الأمور في بداياتها فيغنم خيرها، وينجو من شرها، يعد لكل أمر عدته، ويتصرف أمام كل موقف بما يناسبه، وإذا كان نظر المسلم إلى ما مضى يجدد عزمه ويشحذ همته، ليكون في يومه أفضل منه في أمسه، فإن نظرة المستقبل تحثه على المسارعة بتنفيذ ما عزم عليه من توبة وتصحيح[١].

وإذا كان نظر المسلم إلى ما مضى يجدد عزمه ويشحذ همته ليكون أفضل مما مضى، فكيف به إذا تفكر في نهاية أجله وأنه سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة ؟

٣-الشعور بالاصطفاء وإعادة الثقة للنفس.

ومعنى الاصطفاء أي إنّ الله تعالى اختار هذا الإنسان ليكون مطيعاً بعد أنْ كان عاصياً، واختاره أنْ يكون قريباً بعد إنْ كان بعيداً، فالذي يعلم إنه بالتوبة قد وصل إلى هذه المرتبة والتحق بها بالموكب الكريم من المؤمنين الصالحين، وانتمى إلى الصفوة المختارة من عباد الله، فيعمل على مجاهدة نفسه ويحملها على الأحسن والأصوب[٢].

وهذه المعاني التي تتولد عن التوبة تؤدي إلى شعور العاصي بالثقة بنفسه بعد أنْ فقدها، وهذا أسلوب تربوي فريد، فلو نزعت الثقة منه لتمادى في الضلال والغي، ولا يستطيع التفريق بين الحق والباطل ، ومع تتابع الأيام يقفل القلب ولا يفرق بين الحق والباطل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإنْ تاب ونزع واستغفر ، صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه))[٣].

﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.[٤]

---

[١] - د. توفيق، محمد عز الدين: بحلة البيان، مقاصد التوبة، ص ٣٩.

[٢] - المرجع السابق، ص ٢٢، ٢٣.

[٣] - ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، ١٤١١/٢، رقم الحديث ٤٢٤٤.

[٤] - سورة المطففين: آية ١٤.

المبحث الثالث

الآثار الاجتماعية للتوبة

تحتل الحياة الاجتماعية مرتبة عظيمة في القرآن الكريم من حيث التشريع، فقد فصل الله فيه جميع الأحكام التي تجعل الإنسان يعيش من خلالها في أمن وأمان، وسعادة واطمئنان، ونظم علاقة الإنسان بخالقه؛ فشّرع العبادات، وأوجب التوبة على المذنبين، ونظّم علاقة الناس مع بعضهم وعلاقة الإنسان مع نفسه.

وأول ما نلاحظ أن المنهاج الذي رسمته التوبة في الشريعة الإسلامية هو منهاج واسع وشامل إذْ لا يشمل الفرد ونفسيته فحسب بل يشمل المجتمع وميادينه الكثيرة، وهذا ما توليه الشريعة الإسلامية العناية البالغة لحفاظها على المجموع البشري عامة[1].

المطلب الأول

أهمية التوبة في محاصرة الجرائم والتقليل من خطرها

تعتبر التوبة من أهم الوسائل والأساليب التربوية العلاجية لمشكلة الجريمة بعد وقوعها، ومن المتعارف عليه أنّ الإسلام يحد من انتشار الجريمة قبل وقوعها، بما يسمى بنظام العقوبات والحدود، فيعلم من تسول له نفسه ارتكاب حد من حدود الله أنه سيقام عليه الحد أمام المجتمع بقطع اليد أو الجلد أو الرجم أو النفي أو الصلب، فغالباً ما تكون له رادعاً ومؤدباً، ومع هذا يوجد نفر لا يتأثر بذلك ولا يدرك مدى خطئه إلا بعد ارتكاب الذنب ، فهل تقف الشريعة الإسلامية مكتوفة الأيدي دون أن تسهم في إيقاف الجريمة؟

إنه لا يكفي بأية حال من الأحوال بيان الأساليب والوسائل الوقائية عن الوقوع في الجريمة، بل لابد من اتخاذ الإجراءات العلاجية لمن وقعوا فيها إذا لم يقلعوا عنها وتمادوا فيها، ثم إن أولئك المجرمين في حالة استمرارهم يقدمون عليها ويتجرأون على الإقدام أكثر من غيرهم[2].وهذا ما سيعرضه الباحث من خلال ذكر بعض الجرائم بعد ارتكابها كأمثلة يظهر من خلالها أثر التوبة في التقليل من خطرها.

---

[1] – القزويني: التوبة في الشريعة الاسلاميه، ص ١٧.

[2] – د. ياجن، مقداد: التربية الاسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، ص ١٠٧.

١- الحرابة

((الحرابة هي: قطع الطريق أو هي السرقة الكبرى، وإطلاق السرقة على قطع الطريق مجاز لا حقيقة؛ لأن السرقة هي اخذ المال خفية، وفي قطع الطريق أخذ المال مجاهرة))[١] قال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾[٢].

من المتفق عليه أن توبة المحارب قبل القدرة عليه تسقط ما وجب عليه من حدِ الحرابة كالقتل أو الصلب أو القطع أو النفي، فإن تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه شيء؛ لأن التوبة قبل القدرة تُعد توبة إخلاص، أما بعدها فتكون توبة تقية من إقامة الحد، كما أن في قبول التوبة قبل القدرة ترغيباً لرجوع المحارب عن حرابته وإفساده[٣].

يقول ابن قدامة: ((لا نعلم في هذا خلافاً بين أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأصحاب الرأي، والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أنْ تقدروا عليهم. .﴾، فعلى هذا يسقط عنهم تحتم القتل والصلب والقطع والنفي))[٤].

بهذا التصرف مع المحارب نستطيع تطويق المحارب في ترغيبه في عدم التمادي في إيذاء المسلمين، ويصبح عنصر خير لنفسه وللمجتمع بدل أنْ يكون عنصر شر وإيذاء، ولو تصورنا أنّ المحارب لم يُعط فرصة التوبة والعفو عنه أثناء عدم القدرة ماذا عساه فاعل.؟

فإذا يئس العاصي من قبول توبته، إنه سيعربد في الكون انحلالاً وطغياناً وجبروتاً.

يقول صاحب الظلال: ((والحكمة واضحة في إسقاط الجريمة والعقوبة في هذه الحالة عنهم من ناحيتين:-

الأولى: تقدير توبتهم – وهم يملكون العدوان – واعتبارها دليل صلاح واهتداء.

---

[١] – عوده، عبد القادر: التشريع الجنائي الاسلامي، ٦٣٨/٢.

[٢] – سورة المائدة: آية ٣٣-٣٤.

[٣] – انظر: المرجع السابق، ٦٦٠/٢.

[٤] – المقدسي، ابن قدامة: المغني، ٢٩٥/٨.

والثانية: تشجيعهم على التوبة، وتوفر مؤونة الجهد في قتالهم من أيسر سبيل، والمنهج الإسلامي يتعامل مع الطبيعة البشرية بكل مشاعرها ومساربها واحتمالاتها، والله الذي رضي للمسلمين هذا المنهج هو بارئ هذه الطبيعة، الخبير بمسالكها ودروبها، العليم بما يصلحها وما يصلح لها، والمنهج الرباني لا يأخذ الناس بالقانون وحده، إنما يرفع سيف القانون ويصلته ليرتدع من لا يردعه إلا السيف، فأما اعتماده الأول فعلى تربية القلب وتقويم الطبع، وهداية الروح[1].

فالمحارب في تصرفه يعتبر في عداد المجرمين الذين لا يراعون إلاً ولا ذمة، وبحكم القرآن يقتل فيصبح في حكم الموتى، وبعد هذا تأتي التوبة لتجعل من المجرم تائباً مصلحاً ومن الميت حياً ينبض بعناصر الحياة.

٢- البغي

الباغي هو: المخالف للإمام العدل، الخارج عن طاعته.[2]

قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.....﴾[3]. الآية الكريمة فيها خمس فوائد[4].

١- أنهم لم يخرجوا بالبغي عن الإيمان فإنه سماهم مؤمنين.
٢- أنه أوجب قتالهم.
٣- أنه أسقط قتالهم إذا فاءوا إلى أمر الله.
٤- أنه أسقط عنهم التبعة فيما أتلفوه في قتالهم.
٥- أفادت جواز قتال كل من منع حقاً عليه.

يشترط لوجود جريمة البغي الخروج على الإمام، والخروج المقصود هو مخالفة الإمام والعمل لخلعه، أو الامتناع عما وجب على الخارجين من حقوق، ويستوي أن تكون هذه الحقوق لله أي مقررة لمصلحة الجماعة، أو للأشخاص أي مقررة لمصلحة الأفراد فيدخل

---

[1] - قطب، سيد: الظلال، ٢/٨٨٠ - ٨٨١.
[2] - النووي: روضة الطالبين، ٧/٢٧٠
[3] - سورة الحجرات: اية ٩.
[4] - ابن قدامه: المغني، ٨/١٠٤.

تحتها كل حق تفرضه الشريعة للحاكم على المحكوم، وكل حق للجماعة على الأفراد وكل حق للفرد على الفرد[1].

مثل هذا التصرف يحدث البلبلة داخل المجتمع وربما يشجع أفراد آخرين في إقامة الفوضى والشغب، ويؤدي إلى إرقة الدماء بين أفراد المجتمع الواحد، ولا بد من تأديب البغاة حتى يكونوا عبرة لغيرهم.

((وأهل البغي لا يُبدأون بالقتال حتى ينذروا، فيبعث الإمام إليهم أميناً فطيناً ناصحاً، فإذا جاءهم سألهم مايكرهون، فإن ذكروا مظلمة، وعللوا مخالفتهم بها أزالها، وإن ذكروا شبهة، كشفها لهم بعد إزالة العلة، نصحهم ووعظهم، وأمرهم بالعودة إلى الطاعة، ومن تاب منهم لا يجوز التعرض له؛ لأن قتالهم للدفع والرد للطاعة دون القتل)). [2]

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يا ابن أم عبد ما حكم من بغى من امتى فقلت الله ورسوله أعلم فقال: لا يتبع مدبرهم ولا يجار على جريحهم ولا يقتل أسيرهم ولا يقسم فيؤهم))[3].

من خلال حديث النبي صلى الله عليه وسلم، يتبين لنا مدى رأفة الإسلام ورغبته في عودة البغاة إلى صفوف المسلمين، فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين ويقرر أحكاماً شرعية بالنسبة للبغاة، وهي لا يتبع مدبرهم أي لا يعاملون كما يعامل الأعداء بالرغم من أن فعلهم فعل الأعداء، ولا يجهز على جريحهم، ولا يقتل اسيرهم، كل ذلك من باب الترغيب في العودة للمجتمع الإسلامي.

وهنا يأتي أثر التوبة على أهل البغي وعلى المسلمين المقاتلين لهم، وتتمثل التوبة في جانب البغاة بدعوتهم إلى العودة إلى صفوف الجماعة، وعودتهم تعني تراجعهم عن الغي والتمادي بالباطل، وبعدهم عن الخوض في قتال المسلمين الذي لا يحمد عقباه، سواء أكانوا هم غالبين أو مغلوبين، فإن كانوا غالبين استحقوا غضب الله، وإن كانوا مغلوبين كان مصيرهم القتل أو الأسر فضلاً عن غضب الله عليهم.

أما أثر التوبة على جماعة المسلمين فقد كفى الله تعالى المؤمنين القتال، ووجهوا طاقاتهم القتالية نحو الأعداء، وبها أمن المسلمون الفتنة الداخلية في قتال بعضهم بعضاً.

ويمكن أن تكون التوبة من قبل أهل البغي دليلاً على الولاء والطاعة السياسية، وبذا تحقن الدماء، ولا تهدر الكرامة الإنسانية في سبيل دعم الحكم، فتخلص الأمة من شر كبير،

---

[1] -عودة، عبد القادر: التشريع الجنائي الاسلامي، ٦٧٥/٢.

[2] – النووي، أبي زكريا يحي بن شرف: روضة الطالبين، ٢٧٧/٧، وانظر: الشيرازي: المهذب، ٢٥٠/٣-٢٥٢.

[3] – الحاكم: المستدرك، ١٥٥/٢.

وفساد عظيم قد يلجأ إليه بعض الحكام للبطش بخصومهم المعارضين لسياستهم، وكما يظهر ذلك في البغاة يتجلى في المحاربين قطاع الطرق[1].

٣- الردة:

الردة هي: قطع الإسلام، ويحصل ذلك تارة بالقول الذي هو كفر وتارة بالفعل[2].

قال تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[3].

والقاعدة تقول إن المرتد لا يقتل إلا بعد أن يستتاب ثلاثة أيام، فإن لم يتب يقتل، ويرى بعض الفقهاء أن الاستتابة واجبة وهو مذهب مالك والشيعة الزيدية، وهو الرأي الراجح في مذهبي الشافعي واحمد، ويترتب على من تقبل توبته أن يسقط القتل عنه بالتوبة، فيعود معصوم الدم كما كان قبل الردة[4].

الإسلام حريص كل الحرص على أفراده المسلمين فيحذرهم من الردة؛ أي العودة إلى الكفر، وهذا يعني ان المسلم إذا ارتد مات على الكفر، والكافر تحبط أعماله في الدنيا والآخرة، ويكون قد استحق دخول النار، وكل هذه الأمور محذرات للمسلم في أن يقع في مصيبة الارتداد.

ومن باب رحمة الله أنْ أعطى المرتد فرصة العودة للإسلام، وعلى رأي كثير من العلماء أن الاستتابة واجبة ويترتب عليها أن يسقط حد القتل ويعود معصوم الدم .

أما أثر التوبة على المرتد فهي تشكل إنقاذاً للنفس الهالكة من عذاب الخلد في النار، وأما آثرها على المجتمع فهي تحد من التفكير والإقدام على الردة، لأن أناساً قد سبقوه إلى مثل هذا العمل ثم تراجعوا ولولا أنهم وجدوا في ذلك مصلحتهم لما تراجعوا، وأمر آخر تشكل طائفة المرتدين خسارة للمجتمع الإسلامي، فبدل أن يقتلوا يساهموا في مصلحة الإسلام والمسلمين.

---

[1] – الاسطل، بونس: اثر التوبة في اسقاط الحدود ، ص ٢٢٥.

[2] – النووي: روضة الطالبين، ٢٨٣/٧.

[3] – سورة البقرة: آية ٢١٧.

[4] – عودة، عبد القادر: التشريع الجنائي الاسلامي ، ٧٢٢/٢ – ٧٢٧.

المطلب الثاني

أثر التوبة على سلوكيات المجتمع واقتصاده

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وكلفه بمسؤوليات مختلفة منها الفردية والاجتماعية، وسيسأل الإنسان عنها. ومن طبيعة الإنسان أنه يتأثر بسلوك غيره إيجاباً و سلباً، والسابق للخير هو الفائز عند الله تعالى، والتوبة واحدة من السلوكيات التي تؤثر على المجتمع تأثيراً إيجابياً، وتتمثل آثارها في عدة أمور منها:

١-التوبة تدفع المذنب إلى ترك الذنب والقيام بمزيد من الأعمال الحسنة.

يختار المذنب التوبة بعد عراك شديد مع نفسه وبعد قناعة بقبح الذنب وآثاره السيئة، فتتولد لديه رغبة شديدة لا تقف عند حد الترك بل تتعداها إلى أن يصلح ما أفسد.

ثم إن ترك الشر يوقع الإنسان في الخير من تلقاء نفسه، فالتائب عن الزنا يصبح عفيفاً، والتائب عن الكبر يصبح متواضعاً، والتائب عن الكذب يصبح صادقاً، وهكذا جميع السيئات التي يتوب منها فاعلها، فيقع في اضدادها وهي فضائل صالحة[١].

قال تعالى: ﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسناتٍ وكان الله غفوراً رّحيماً﴾[٢].

٢-التوبة تدفع المسيء إلى أن يحسن للذي أساء إليه .

قد يقدم الإنسان على تصرف فيه إرغام ومخالفة لنفسه؛ لأن الإعتراف بالذنب ثقيل على النفس، ولولا التزام المسيء بالتوبة لم يقدم على الإعتذار أو الإحسان لمن أساء عليه.

وهذا التصرف يزيل الضغائن التي حصلت نتيجة الإساءة و له دور هام في العلاقات الإنسانية الاجتماعية، لذا نرى أن الإسلام يدعو إلى ذلك ويبين أن الله لا يغفر ذنب الإنسان فيما يتعلق بحقوق العباد[٣]. إلا إذا رد الحقوق لأصحابها أو أن يبرئه منها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولادرهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه))[٤].

---

[١] – المحاسبي: التوبة، ص ٥٣-٥٤.

[٢] – سورة الفرقان: آية ٧٠.

[٣] – د. يالجن، مقداد: التربية الاسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، ص ١١٣.

[٤] – صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته، ١٠/١٨٣ رقم ٢٤٤٩.

وهذا يعني أن يعتاد المجتمع على خلق فاضل من أخلاق الإسلام، وهو الجرأة على الاعتراف بحقوق الناس وردها إليهم، وحينئذ تزول الأحقاد والخلافات من المجتمع.

٣-التوبة سبب في إغداق البركات والرزق ورغد العيش على التائب ومجتمعه.

التائب من ذنبه محل رعاية الله وأهل لحفظه ورحمته، يغدق عليه من بركات السماء والارض ويمتعه بسعة الرزق ورغد العيش في الدنيا، وينعم عليه بالثواب العظيم والنعيم المقيم في الآخرة، ثم إن الاستغفار مع الإقلاع عن الذنوب سبب للخصب والنماء وكثرة النسل وزيادة القوة والمنعة[١].

قال تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنّه كان غفّاراً يرسل السّماء عليكم مّدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهاراً﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ويا قوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه يرسل السّماء عليكم مّدرارا ويزدكم قوّة إلى قوّتكم﴾[٣].

ما علاقة الاستغفار والتوبة بالقوة؟

فأما زيادة القوة فالأمر فيها قريب ميسور، بل واقع مشهود، فإنّ نظافة القلب والعمل الصالح في الأرض يزيدان التائبين العاملين قوة، يزيدانهم صحة في الجسم بالاعتدال والاقتصار على الطيبات من الرزق، وراحة في الضمير، وهدوء في النفس والاطمئنان إلى الله والثقة برحمته في كل آن، ويزيدانهم صحة في المجتمع بسيادة شريعة الله الصالحة التي تطلق الناس أحراراً كراماً لا يدينون لغير الله، ومن ثم يزداد إعمارهم للدنيا والعمل على تقدم البشرية وقيادتها الى ما يرضي ربها. وأما إرسال المطر مدراراً، لا يمنع أن يكون المطر محيياً في مكان وزمان ومدمراً في مكان وزمان آخر، وان ينفذ الله تبشيره بالخير ووعيده بالشر عن طريق توجيه العوامل او القوانين التي اودعها الله في الطبيعة إذ أنها مسيرة حسب قوانينه[٤].

---

[١] - د. السدلان، صالح بن غانم: التوبة الى الله ، ص.١٤.

[٢] - سورة نوح: آية ١٢.

[٣] - سورة هود: آية ٥٢.

[٤] - انظر: قطب، سيد: الظلال، ١٨٩٧/٤ - ١٨٩٨.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: ((من لزم الاستغفار جعل الله لـه من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب))[1].

والقرآن الكريم يجعل الاستغفار من الذنب والإقلاع عنه وسيلة لنيل رحمـة الله ونيـل الخيرات والعطايا في الحياة الدنيا[2].

فأثر التوبة على المجتمع من الناحية الاقتصادية عظيم، والأمة إن كانت قوية اقتصاديـاً تكون قوية علمياً وسياسياً، وهذا الذي يريده الله للأمة الإسلامية أن تكون عزيزة فـي جميـع الميادين.

---

[1] -ابن ماجة: السنن، كتاب الأدب، باب الاستغفار ، ٢/١٢٥٥، رقم الحديث ٣٨١٩.

[2] - طباره، عفيف عبد الفتاح: روح الدين الإسلامي، ص ١٨٧.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- أن وقوع الإنسان في بعض الجرائم لا يعني بالضرورة التمادي والفجور والعصيان، فقد يكون من باب الابتلاء وتكفير الذنوب ورفع الدرجات.
- أن المنهج الإسلامي التربوي يتعامل مع المجرمين أو العصاة والمذنبين وقايةً وعلاجاً، أما الوقاية فبإغلاق جميع الأبواب المؤدية إلى الجرائم وارتكاب الذنوب والمعاصي، وأمّا العلاج فإن وقعت الجرائم والذنوب والمعاصي، فإنّ الأساليب العلاجية كفيلة بإنهائها.
- لابد من الالتزام حيث الأخذ بالأساليب العلاجية بالصورة التي أراد الشارع تنفيذها.
- تسهم التوبة في علاج بعض الأمراض النفسية، وبعض المشكلات الاجتماعية، فهي تزيل الشعور بالنقص والاضطراب النفسي. وتنقذ العاصي التائب من آلام الضمير وهي وسيلة لعلاج الكبر والإعجاب بالنفس، أما علاجها لبعض المشكلات الاجتماعية فهي تحاصر الجرائم وتقلل من خطرها.
- أن للتوبة نظاماً دقيقاً في الشريعة، حيث يقوم بنيانها على حقيقة وأركان وأنواع وأحكام وآثار .
- بيان الفرق بين التوبة والاستغفار والإنابة والأوبة والعفو.
- قد تكون التوبة دليلاً على الولاء والطاعة السياسية في حالة البغي، وبذا تحقن الدماء، ولا تهدر الكرامة الإنسانية في سبيل دعم الحكم، فتتخلص الأمة من شر كبير، وفساد عظيم قد يلجأ إليه بعض الحكام للبطش بخصومهم المعارضين لسياستهم.

التوصيات:

١-اهتمام الباحثين في موضوع التوبة وبيان أهميتها في معالجة كثير من قضايا الأفراد والمجتمع.

٢-الإكثار من موضوعات التوبة في المناهج لتزيد دافعية الطالب في الرجوع إلى الله تعالى.

٣-دراسة الفرق بين التوبة في الشريعة الإسلامية والعفو في القوانين الوضعية.

٤-يقوم الدعاة إلى الله بعرض آيات القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة الخاصة بالتوبة للمذنبين والعصاة في السجون.

٥-استخدام الأطباء النفسيين التوبة في علاج بعض الأمراض النفسية.

٦-دراسة نماذج اخرى من التائبين وبيان الآثار التربوية التي انعكست على توباتهم.

فهرست الآيات الكريمة

فهرست الآيات مرتبة هجائياً

حرف الألف

	الصفحة
﴿افلا يتوبون الى الله	١٥
﴿إلا من تاب وامن وعمل عملاً صالحاً.....	٧٨
﴿الذين امنوا وتطمئن قلوبهم	٧١
﴿الذين يقولون ربنا اننا امنا.....	٧٧
﴿الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله.....	٥٩
﴿... أنت ولينا فاغفرلنا وارحمنا.....	٢١
﴿ان الله يحب التوابين.....	٦٨
﴿انما اشكو بثي وحزني الى الله	٧٢
﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله.....	٨١
﴿انما التوبة على الله.....	١٤

حرف الياء

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله ١٢

﴿يا أيها الذين أمنوا لا تخونوا الله والرسول ٣٥

﴿يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء..... ٣٨

حرف الراء

﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان..... ٧٧

﴿ربنا لا تؤاخذنا ٧٧

حرف الفاء

﴿فاصبر ان وعد الله حق..... ٢٠

﴿فاعلم انه لا اله الا الله..... ١٤

﴿فقلت استغفروا ربكم..... ٨٦

﴿في قلوبهم مرض..... ١٢

حرف القاف

﴿قال رب اغفر لي ٢١

﴿قال رب إني أعوذ بك ٢٠

حرف الكاف

﴿كلا بل ران على قلوبهم..... ٧٩

حرف اللام

﴿لقد كان لكم في رسول الله ٧٥

حرف الواو

﴿والذين اذا فعلوا فاحشة..... ١٤

﴿وأن طائفتان من المؤمنين ٨٢

﴿وان استغفروا ربكم..... ١٥

﴿وانيبوا الى ربكم واسلموا له..... ١٦

﴿وتوبوا الى الله جميعاً..... ٣

﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف..... ٧٢

﴿وظنوا ان لا ملجأ من الله ٤٦

﴿ولو يعجل الله للناس الشر ٧٨

﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبددون ٦٦

﴿ومن يرتدد منكم عن دينه..... ٨٤

﴿ويا قوم استغفروا ١٥

﴿ويتوب الله على المؤمنين..... ١٤

فهرس الاحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الصفحة
حرف الالف	
((اتق الله حيثما كنت.....	٢٤
((احتجت النار والجنة.....	٧٣
((ان رجلاً قتل تسعة وتسعين.....	٧٦
((انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ.....	٣٩
((ان عبداً اذنب ذنباً.....	٦٦
((انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق.....	٧٤
((إنه ليغان على قلبي.....	٢٠
((امسك بعض مالك.....	٤٤

حرف الباء

((البر حسن الخلق ٧٤

حرف الخاء

((خيركم قرني..... ٣١

حرف الدالا

((الدواوين عند الله عزوجل ٢٧

حرف الصاد

((صدق ولا تقولوا له الا خيراً..... ٤٠

((الصلاة والصوم جنة..... ٣٧

حرف الكاف

((كل بني ادم خطاء..... ١٩

حرف الفاء

((فو الله ما زالوا يؤنبوني..... ٤٥

حرف اللام

((لايدخل الجنة ٧٣

((لله أشد فرحاً بتوبة عبده..... ٦٨

حرف الميم

((مرحباً بالراكب المهاجر..... ٥١

((من كانت له مظلمة لخية..... ٢٨

((من لزم الاستغفار ٨٧

حرف النون

((الندم توبة..... ٢٦

حرف الواو

((والله اني لستغفر الله ١٣

((والذي نفسي بيده..... ٢٢

المصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهيجائية

١- القرآن الكريم:

٢- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، د.ط، دار صادر، بيروت ، ١٩٧١.

٣- الأربلي، محمد بن الكردي، ت/١٣٣٢هـ : تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، علق عليه ووضع حواشيه محمد رياض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

٤- الأسطل، يونس محيي الدين فايز: أثر التوبة في اسقاط العقوبة، (رسالة ماجستير غير منشورة) الجامعة الاردنية، ١٩٨٦.

٥- الأشعري، محمد بن علان الصديقي الشافعي، ت/١٠٥٧هـ: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ط٣، دار الفكر ، د.م، د.ت.

٦- بادويلات، احمد سالم: دموع الندامة في قصص التوابين لابن قدامة، ط٢، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦.

٧- البخاري، محمد بن اسماعيل، ت/٢٥٦هـ: صحيح البخاري، د.ط، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧.

٨- البيانوني، احمد عز الدين: التوبة، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر، د.م/ ١٩٨٦م.

٩- البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين، ت/٤٥٨هـ: الآداب ، محمد عبد القادر عطا ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

١٠- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ت/٢٧٩هـ: دامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١١- إبن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ت/٧٢٨هـ: التوبة والاستغفار: محمد عمر الحاجي وعبد الله بدران، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٢- ..... مجموع فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية، عبد الرحمن بن محمد بن القاسم العاصمي النجدي الحنبلي، ط١، د.م، ١٣٩٨هـ.

١٣- جماعة من العلماء، حققها وراجعها جماعة من العلماء: شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

١٤- الجزائري، أبو بكر جابر: منهاج المسلم، ط٨، دار الفكر ، د.م، د.ت.

١٥- د. جهاد، جودة حسين محمد: التوبة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، د.ط ، دار النهضة العربية، د.م ، ١٩٩١.

١٦- الجزري، عز الدين بن الاثير ابو الحسن علي بن محمد، ت/٦٣٠ هـ: اسد الغابة في معرفة الصحابة، د.ط، د.ت ، د.م ، د.ت.

١٧- الجوزية، ابن القيم، ت/١٤٨١هـ: تهذيب مدارج السالكين، هذبه عبد المنعم صالح العلي العربي، ط٢، مؤسسة الرساله، بيروت، ١٩٨٧م.

١٨- الجزيري، عبد الرحمن: كتاب الفقه على المذاهب الأربعه ، د.ط، دار الفكر ودار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٩- الجيلاني، للشيخ عبد القادر، ت/٥٦١هـ: الغنية لطالبي طريق الحق عزوجل، تحقيق فرج توفيق الوليد، د.ط، المركز العربي للتربية والثقافة والعلوم، د.م، د.ت.

٢٠- ابن حنبل، أحمد ، ت/٢٤١هـ: مسند الإمام احمد ، د.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

٢١- ريدان، عبد الكريم: الوجيز في أصول الفقه، د.ط، دار الفكر العربي، د.م، د.ت.

"Tauba "Repentance and its Educational Effects"

PREPARED BY:
Yousof Hussein Nazal-Al-Eisa
Supervised by:
Dr. Abu- Al-yaqdan. Al-Jobori
Dr.Shafeeq Hassan Alawneh

Thesis abstract

"Tauba" Repentance is one of the most important principles a Muslim must understand. Under no circumstances a Muslim can manage without Repentance since man is born with the tendency to err and make sins, therefore penance is baldly needed, otherwise, the Muslim will be lost and this is indeed the ultimate loss.

The research answered The following questions and came to the following conclusions.

1. What is the meaning of **"Tauba"** Repentance? What is its interpretation?

   ** The meaning of **"Tauba"** Repentance.

2. What are the principles and kinds of Repentance?
   The research shows the principles of Repentance. The acceptance of Repentance is dependent on certain conditions; regret, abandonment of guilt, and determination on "No- return "to sin, if Repentance is for sins committed towards God.
   However, if Repentance is for sins committed towards worshipers, a fourth condition must be added; Returning rights to whomever they belong to, or asking them forgiveness. Thorough Research showed that there are two kinds of **"Tauba"** Repentance ; repentance from guilt towards God, and Repentance from guilt towards worshippers.

   ** Repentance in the Islamic doctrine is seen as an immediate must. "Immediate" here means initiating Repentance without delay for man does not own his tomorrow nor the day after.

3. What is the difference between Repentance and asking for forgiveness, turning repentantly and returning to God?

The research shows that asking for forgiveness alone is the same as Repentance, but if Repentance and asking for forgiveness were done together, this action would be imploring God to prevent possible future evil. However, asking for forgiveness would be imploring God for pardon on sins done in the past. Scholars agreed that turning repentantly means Returning to God. To make the long short, Returning to God has three shapes; Repentance, Turning Repentantly to God and Returning to God.

4. Where do Muslims stand from Repentance mentioned is the holy **Qura'an** and **"Sunna"** or pious forefathers?
   The research shows the Preference of following the forefathers' tracks and adopting their path simply because it was accepted by the first two kinds of Repentants; those mentioned in the holy **Qura'an** and **"Sunna"**.

5. What are the Educational effects on Repentants?
   The research shows the educational effects on Repentants through their behavior; mainly concerning faith and holy war, charity and commitment to honesty.

6. The Educational effect are shown in three ways; psychological, behavioral and social. After showing the effect, I showed their significance on the individual and the community. Repentance contributes to achieving slavery to God. Healing some psychological illnesses, such as curing the consciences, arrogance, self-admiration and above all contribute to elevating the status of the individual.
   The significance of Repentance is included in crime control and minimizing its dangers, and helping the Economical level of the community.